السنة السادسة والأربعون بعد المئتين

فيها غزا جماعةٌ من المسلمين بلاد الروم، منهم عمرو[١] بن الأقطع، وقريناس[٢]، والفضل بن قارن، وعليّ بن يحيى الأرمني، فأمَّا ابنُ الأقطع فأخرجَ من السبي سبعةَ آلاف رأس، وأخرج قريناس خمسةَ آلاف، وأما ابن قارن فغزا أنطاكية في البحر في عشرين مركباً، ففتح حصنَها، وأما ابنُ الأرمنيّ فأخرجَ خمسةَ آلاف رأس، ومن الدوابِّ والرَّمَك[٣] والحمير نحواً من عشرة آلاف[٤].

وفيها تحوَّلَ المتوكِّل إلى الماحوزة ـ مدينتِه التي أمر ببنائها ـ يوم عاشوراء، وفرَّق في الصنَّاع والكتاب ومن وليَ البناءَ ألفي ألف درهم.

ووقعَ الفداءُ في صفر بين المسلمين والروم على يدي عليِّ بن يحيى الأرمنيّ، ففودي بألفين وثلاث مئة ونيِّفاً.

[ذكر القصَّة:]

قال نصر بن أزهر الشيعيّ، وهو كان رسولَ المتوكِّل إلى ميخائيل ملك القُسْطَنطينية: لما دخلت القسطنطينية حُمِلتُ إلى دار ميخائيل بسوادي وقلنسوتي وسيفي، وكان خال الملك يقال له: بطرناس، [و] هو القيِّمُ بشأن الملك ومدبِّرُ دولتِه، فقال: لا سبيلَ أنْ تدخلَ على الملك بهذه الهيئة، قلت: لا أدخل إلَّا بها، وخرجت مغضباً، فردُّوني من الطريق، وكان معي هديَّةٌ للملك، فيها ألفُ نافجة مسك، وثيابٌ كثيرة، وحريرٌ وزعفران وطرائف، ثم أُدخِلت على ميخائيل، وهو جالسٌ على سرير

---

(١) كذا في (خ) و(ف)، والصواب: عمر بن عبيد الله الأقطع. انظر ترجمته في وفيات سنة ٢٤٩ هـ.

(٢) كذا في (خ)، وفي (ف): فريباس، وفي تاريخ الطبري ٩/ ٢٠٧، ٢١٩: قربياس، وفي الكامل ٧/ ٨١، ٩٣: قرياس، وفي مروج الذهب ٨/ ٧٤-٧٥ قرنياس البيلقاني، وذكر المسعودي أنه كان بطريق البيالقة وأن وفاته كانت سنة ٢٤٩.

(٣) في (خ) و(ف): والرمال. والمثبت من تاريخ الطبري ٩/ ٢١٩. والرَمَكْ جمع الرَّمَكَة وهي الفرس، والبرذونة تتخذ للنسل.

(٤) من قوله: عمرو بن الأقطع . . . إلى هنا ليس في (ب).

تحته سرير، فسلَّمتُ وجلست على طرف السرير، والبطارقةُ قيامٌ حولَه، فقدَّمتُ الهدايا، والترجمان يعبِّرُ ما أقول، فقَبِلها وسُرَّ بها، وأمر بإنزالي قريباً منه وأكرمني، وأقمتُ عنده أربعةَ أشهر، حتى تقرَّر أمرُ الفداء وأن يعطوني جميعَ من عندهم من المسلمين، وأعطيَ جميع من عندي، وكان الذين عندي نحواً من ألف، والذين عندهم أكثر من ألفين، وحلفتُ لهم وحلفوا لي، وجئنا إلى موضع الفداء، ولم يبقَ عندهم سوى خمسة [نفرٍ] من المسلمين، [اختاروا المقام عندهم][(١)].

وفيها مطرت سِكَّةٌ ببلخ دماً عبيطاً.

[وصلَّى المتوكِّل بالجعفريَّة صلاة الفطر، ولم يُصَلِّ بسامرَّاء أحد.]

وحجَّ بالناس محمدُ بن سليمان، وحجَّ فيها محمد بن عبد الله بن طاهر فوليَ أعمالَ الموسم، وحملَ معه ثلاث مئة ألف دينار؛ [مئةُ ألف] لأهل مكَّة، ومئةُ لأهل المدينة، ومئةُ ألف لما أمرت به أمُّ المتوكِّل من إجراءِ الماء من عرفات إلى مكَّة، وأمر المتوكِّلُ أن يوقدَ على المشعر الحرام وجميع المشاعر الشمعُ، وكانوا [قبله] يوقدونَ الزيتَ والنفط[(٢)].

وفيها توفي

أحمدُ بن أبي الحَوارِيّ

[واسم أبي الحواري] ميمون التغلبيُّ[(٣)]. [هذا هو المشهور[(٤)].

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب). وانظر الخبر في تاريخ الطبري ٩/ ٢١٩-٢٢٠.

(٢) المنتظم ١١/ ٣٤١. وما سلف بين حاصرتين من (ب).

(٣) في (ب)، وتاريخ دمشق ٣٩/ ٢٠١ (طبعة مجمع اللغة) في ترجمة عبد الله بن ميمون، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٨٥، وتوضيح المشتبه ٣/ ٣٧٧: الثعلبي.

قال الحافظ ابن حجر في تقريب التهذيب: التغلبي، بفتح المثناة، وسكون المعجمة، وكسر اللام وانظر تهذيب الكمال ١/ ٣٦٩. وما بين حاصرتين من (ب).

(٤) وهو قول السلمي في طبقات الصوفية ص٩٨ وابن خميس في مناقب الأبرار ١/ ٢٧٠. وبقية المصادر على القول الثاني الذي سيذكره المصنف.

وقال الحافظ ابن عساكر: هو][1] أحمد بن عبد الله بن ميمون بن عيّاش[2]، أبو عبد الله[3] الدمشقي.

[وقال ابن منده: أصله من الكوفة، وسكن دمشق.

قلت: والمشهورُ أنَّه دمشقيّ، وكنيته] أبو الحسن.

[وذكره ابن سعد في الطبقة الثامنة من أهل الشام[4]، وذكره أبو عبد الرحمن السلميُّ فقال: هو] من قدماءِ مشايخ الشام، [من أهل دمشق]، تكلَّم في علوم المحبَّة والمعاملات، وصحب أبا سليمان، وأخذ طريقةَ الزهد من أبيه أبي الحواري.

[قال السلميُّ: وأبو الحواريّ اسمه ميمون قال: ولأحمد ابنٌ اسمُه عبد الله، وروى عن أبيه، وكان من الزُّهاد أيضاً. قال: وأبو الحواري] من أهل الزهد والورع[5] أيضاً.

وذكره أبو زرعة الدمشقي فقال:] قال أحمدُ بن أبي الحواري: قال لي أحمد بن حنبل: متى مولدُك؟ قلت: سنة أربعٍ وستين ومئة، فقال: هو مولدي.

وقال ابن ماكولا: واسم أبي الحواري عبدُ الله بن ميمون بن عيَّاش بن الحارث الثعلبيُّ الغَطَفانيُّ الزاهد[6].

وقيل: أصلُه من بعلبك.

ذكر طرف من أخباره:

[روى أبو نُعيم عن ابن مَعِين أنه قال:][7] ما أظنُّ أنَّ الله يَسقي أهلَ الشام الغيثَ إلَّا به.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ) و(ف): وقيل.

(٢) كذا في (خ) و(ب)، ومختصر تاريخ دمشق ٣/ ١٤٢، وتوضيح المشتبه ٣/ ٣٧٧. وفي (ف)، وتاريخ دمشق ٣٩/ ٢٠١ في ترجمة عبد الله بن ميمون، وتهذيب الكمال ١/ ٣٦٩، وتهذيب التهذيب ١/ ٣١: عباس.

(٣) في (خ) و(ف): بن عبد الله. والمثبت من (ب). ولم أقف على من كناه بأبي عبد الله. لكن سيذكر المصنف قريباً أن لأحمد ابناً يقال له عبد الله..

والمشهور أن كنيته: أبو الحسن، كما سيأتي قريباً. وقال الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب ١/ ٣١: وكناه ابن حبان في «الثقات» أبا العباس. اهـ. ومثله في طبقات الأولياء ص٣١.

(٤) لم أقف عليه في طبقات ابن سعد.

(٥) انظر طبقات الصوفية ص٩٨-٩٩. وما سلف بين حاصرتين من (ب).

(٦) الإكمال ٣/ ٢١٦-٢١٧. وقول ابن ماكولا ليس في (ب).

(٧) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ) و(ف): قال ابن معين.

وكان الجنيد يقول: هو ريحانةُ أهل الشام.

واشتهر أحمد بصحبةِ أبي سليمان الدارانيّ، وروى عنه معظم كلامه وحكاياته، [وقد ذكرناه في ترجمة أبي سليمان][(١)].

وله أيضاً الكلام الحسن والمجاهدات الكثيرة والواقعات العجيبة[(٢)].

[وروى أبو نعيم عن العباس بن حمزة[(٣)] قال: حدثنا أحمدُ بن أبي الحواري] قال: بينا أنا يوماً في بعض بلاد الشام في قبَّةٍ في مقبرة، إذا بحائط القبَّة يدقّ، فقلت: من هذا؟ قالت: امرأةٌ ضالَّةٌ، فدُلِّني[(٤)] على الطريق، قلت: عن أيِّ طريق تسألين؟ قالت: عن طريق النجاة، وبكت، فقلت: هيهات هيهات، إنَّ بيننا وبينها عقاباً لا تقطع إلَّا بالسير الحثيث، وتصحيح المعاملة، وقطع العلائق الشاغلة[(٥)]، [قال: فـ] بكت بكاءً شديداً، [ثم] قالت: يا أحمد، سبحان من أمسكَ عليك جوارحَك فلم تتقطع، وحفظَ عليك فؤادك فلم ينصدع، ثم غُشي عليها.

وكان هناك نساء، فقلت لبعضهنَّ: انظرن[(٦)] أي شيء حالُ هذه الجارية؟ فقمن إليها فحركنَها فإذا بها ميتة، وإذا في جيبها ورقةٌ، فقرأتُها، وإذا فيها مكتوب: كفنوني في أثوابي [هذه]، فإن كان[(٧)] لي عند الله خيرٌ فسيبدلني خيراً منها، وإنْ كان غير ذلك فيا شقوتي.

وإذا بخدمٍ وجوارٍ حاسرات، فأحطنَ بها، فكشف النساء [عن] رؤوسهن والخدم عمائمهنّ، وستروها بها، فسألتُ بعضَ الخدم عنها، فقال: هذه بنتُ الملك، وهؤلاء أخواتها، [فـ] غلبَ عليها حبُّ الله تعالى، فخرجت على وجهها، ونحن نكونُ حولَها من بعيد، وقد امتنعَتْ من الطعام والشراب، فحملنا لها الأطباء، فتقول: [دعوني،

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) قوله: وله أيضاً ... إلى هنا ليس في (ب).

(٣) كذا في (ب) ـ وما بين حاصرتين منها ـ، وفي حلية الأولياء ١٠/ ١١، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٩١: عمر بن بجر.

(٤) في (خ) و(ف): تدلني، والمثبت من (ب).

(٥) بعدها في (خ) و(ف): عليه. وما بين حاصرتين من (ب).

(٦) في (ب): انظري.

(٧) في (خ) و(ف): يكن. والمثبت من (ب).

أو] خلُّوا بيني وبين الطبيب الذي أمرضني، فعنده شفائي، وفي رواية: خلُّوا بيني وبين الطبيب الزاهد أحمد بن أبي الحواري، أشكو إليه ما أجدُ من بلائي، فربَّما يكونُ عنده شفائي[١]. [وذكر في «المناقب»[٢] طرفاً منها.

وحكى القشيريُّ عن يوسف بن الحسين الرازي قال:][٣] كان بين [أبي] سليمان وأحمد بن أبي الحواري عقدٌ أن لا يخالفَه في شيءٍ يأمرُه به، فجاءَ إليه أحمد يوماً وأبو سليمان يتكلَّم في مجلسه، فقال له: إنَّ التنور قد سجر، فما تأمر؟ فلم يجبه، فألحَّ عليه مرتين أو ثلاثة، فكأنَّه ضاقَ صدرُه، فقال له: اذهب فاقعد فيه، فجاء أحمد فنزل في التنُّور، وتغافل عنه أبو سليمان ساعةً، ثمَّ ذكره، فقال: أدركوا أحمد فإنَّه في التنُّور، فذهبوا إليه، فإذا هو جالسٌ في التنُّور لم يحترق منه شعرة[٤].

[وروى عنه ابن باكويه الشيرازي قال:][٥] مررتُ براهب فرأيته [نحيفاً]، فقلتُ: منذ كم أنت على هذا؟ فقال: منذ عرفت نفسي، قلت: فتداوى، قال: قد أعياني الدواء، وقد عزمتُ على الكيّ، قلت: وما الكيّ؟ قال: مخالفةُ الهوى.

قال: ورأيتُ في المنام جاريةً ما رأيتُ أحسنَ منها، فقلت لها: ما رأيتُ أحسن من هذا الوجه، فقالت: أتذكرُ ليلةَ جلستَ في السحر فبكيت، قلت: نعم، قالت: حُمِلت إليَّ دمعتُك، فغسلتُ بها وجهي فصارَ كما ترى[٦].

وحَكَى ابن عساكر أنَّ بعضَ أصحابِه وُلدَ له مولودٌ، فجاء إلى أحمد يطلب منه شيئاً، فقال: ما أصبحتُ أملكُ سوى هذين الثوبين، فخلعَ أحدَهما[٧]، فناولَه إيَّاه، ومضَى الرجل، وخرج أحمد من جامع دمشق من باب جَيْرُون، فلقيه رجل على درج الجامع،

(١) انظر حلية الأولياء ١٠/ ١١ . وفيه اختلاف عما ذكرها هنا.

(٢) ١/ ٢٧٢-٢٧٣.

(٣) ما بين حاصرتين من (ب) . وفي (خ) و(ف) : وقال يوسف بن الحسين الرازي.

(٤) الرسالة القشيرية ص٣٢١ . وما بين حاصرتين من (ب) . ووصف الذهبي في السير ١٢/ ٩٣ هذه القصة بأنها منكرة.

(٥) ما بين حاصرتين من (ب) . وفي (خ) و(ف) : وقال أحمد. والخبر ذكرهُ أيضاً ابن خميس في المناقب ١/ ٢٧٣.

(٦) مناقب الأبرار ١/ ٢٧٤.

(٧) في طبقات الأولياء ص٣٤ : أجدهما، وانظر مناقب الأبرار ١/ ٢٧٦..

فقال له: عمير بن جوصاء يسلِّم عليك ويقول: هذه ثلاثون ديناراً، انتفع بها، فصرخَ أحمد صرخةً عظيمةً وقال: ما هذه الغفلة، أَعطيت قميصاً واحداً، [ف] بعثَ إليَّ بثلاثين ديناراً، ثمَّ وقع، فلو لم يمسكوه لتهشَّم وجهه.

وولد لتلميذٍ له ولدٌ[١] ولم يكن عنده شيءٌ، فقال لتلميذه: اذهب إلى السُّوق، فاستسلف لنا وزنة دقيق، فعزَّ على التلميذ ذلك وقال: مثلُ هذا الشيخ يكون بين الناس لا يفتقدونه، وكان بعضُ التجار قد نذر إنْ سلم في البحر حملَ إلى أحمد مئتي درهم، فسلم، وبعثَ إليه في تلك الساعةِ بمئتي درهم، فأخبره خبره، فقال التلميذ الذي قال له أحمد: اذهب، فاستدن لنا الدقيق: الحمدُ لله، قد فرَّجَ الله عن الشيخ بهذه الدراهم، وإذا برجلٍ قد دخل فقال: يا سيدي، قد ولد لي البارحةَ مولود، وليس عندي شيء، فرفع أحمد رأسَه إلى السماء وقال: يا إلهي كذا بالعجلة، ثم قال للرجل: خذها، فأخذ المئتي درهم، ثم قال للتلميذ: قُم فاستسلفْ لنا الدقيق.

[ذكر] نبذةٍ من كلامه:

[حكى عنه ابن باكويه الشيرازي] قال: إني لأقرأ القرآن، فأنظر في آية آية، فيحارُ عقلي فيها، فالعجبُ لقرَّاء القرآن، كيف يَلَذُّ لهم عيشٌ، أو يقرُّ لهم قرار، أو يشتغلوا بشيء من الدنيا؟!

[وقال أبو عبد الرحمن السُّلَمي كان أحمد يقول:] كلما ارتفعت منزلةُ القلب كانت العقوبةُ إليه أسرع[٢].

وقال: من نَظر إلى الدنيا نظرَ إرادةٍ وحُبٍّ[٣] لها، أخرجَ الله نورَ اليقين من قلبه.

وقال: أفضلُ البكاء بكاءُ العبد على ما فات من أوقات المخالفات.

وقال: من عملَ عملاً بغير اتِّباع السنة فعملُه باطل، وعلامةُ حبِّ الله حبُّ طاعته،

---

(١) كذا في (خ) و(ف). ولم يذكر الخبر في (ب). وفي مختصر تاريخ دمشق ٣/ ١٤٤، وطبقات الأولياء ص٣٣ أنه جاءه مولود (يعني لأحمد).

(٢) طبقات الصوفية ص١٠١.

(٣) في (خ): وأحبَّ. والمثبت من (ف) وطبقات الصوفية ص١٠٠، ومناقب الأبرار ١/ ٢٧١. وهذا القول ليس في (ب).

وإذا[١] أحبَّ الله عبداً أحبَّه، ولا يقدرُ العبدُ أن يحبَّ الله حتى يبتدئَه اللهُ [بالحب له، وذلك حين عرف منه الاجتهادَ في مرضاته.

وقال: من أحبَّ أن يُعْرَف بشيءٍ من الخير أو يُذكَرَ به، فقد أشرك في عبادتِه؛ لأنَّ من عَبد][٢] على المحبَّة لم يحب أنْ يَرى سوى خدمةِ مخدومه.

وقال: الدنيا مزبلةٌ ومجمع الكلاب، وأقلُّ من الكلب من عكفَ عليها، فإنَّ الكلبَ يأخذُ منها حاجتَه ويتركُ الباقي، والمحبُّ لها لا يشبعُ منها أبداً.

وقال: إنَّما كرهَ الأولياءُ الموتَ لانقطاعِ ذكر الحبيب عنهم.

وقال: إذا رأيتَ من نفسك غفلةً، ومن قلبك قسوةً، فجالسِ الذاكرين، واصْحَبِ الصالحين، ورافقِ الزَّاهدين، وأَحِبَّ المحبِّين، وقد زالتْ عن قلبك القسوة، وحصلت لك اليقظة.

وقال [أحمد بن أبي الحواري:][٣] لولا أنَّ السنَّة مضت بتقديمِ أبي بكر وعمر وعثمان رضوان الله عليهم ما قدمنا على عليٍّ رضوان الله عليه أحداً؛ لسابقته وفضله ﷺ.

ذكر وفاته:

واختلفوا فيها [خلافاً واسعاً على ثلاثة أقوال؛ أحدها: في][٤] سنة ثلاثين ومئتين، حكاه الخطيب[٥].

وذكره جدِّي في «المنتظم»، وقال: أحمد بن أبي الحواري؛ كان الجنيد يقول: هو ريحانةُ الشام. وقال ابن معين: أظنُّ أهل الشام يسقيهم اللهُ الغيثَ به. وقال: قال أحمد: كلما ارتفعت منزلةُ القلب كانت العقوبةُ إليه أسرع. وتوفي هذه السنة، يعني سنة ثلاثين ومئتين[٦].

---

(١) من هنا إلى قوله: لا يشبع منها أبداً. ليس في (ب).

(٢) ما بين حاصرتين من طبقات الصوفية ص١٠١، ١٠٢، ومناقب الأبرار ١/ ٢٧١، ٢٧٢.

(٣) ما بين حاصرتين من (ب).

(٤) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ) و(ف): فقيل.

(٥) لم أقف له على ترجمة في تاريخ بغداد.

(٦) المنتظم ١١/ ١٥٤.

قلت: هذه صورةُ ما ذكره جدِّي في «المنتظم»، ولهذا أعدتُه.

والقول الثاني: في][(١)] سنة إحدى وثلاثين [ومئتين.

والقول الثالث: في][(٢)] سنة خمس وأربعين [ومئتين.

وحكى الحافظ ابن عساكر عن أبي عبد الرحمن السلمي أنَّه قال: قد قيل إنَّه مات في سنة ثلاثين ومئتين[(٣)]. قال: وهو وهم[(٤)]. وأهلُ الشام أعلم.

قال أبو زرعة: مات أحمد] في رجب سنة ستٍّ وأربعين [ومئتين[(٥)]. وحكاهُ عن جماعة].

وروى [ابن عساكر عن] الحسن بن حبيب، عن أبيه قال: دخلتُ على أحمد وقتَ الموت، وقد صار مثل الخيط، فأخرج يدَه من تحت الإزار وهو يبكي، وشالَها إلى السماء وقال: واخطراه، وامخاطرتاه، ثمَّ تشهد ومات.

[وفي رواية الخطيب عنه أنَّه قال:][(٦)] لو خُيِّرت بين أن يسجرَ تنورٌ فأرمى فيه فأحترق، ولا أبعث، ولا أرى الحسابَ، لاخترتُ الوقوعَ فيه، قيل: فالجنَّة؟ قال: وأينَ الوقوف والحساب والتوبيخ بين يدي الله تعالى؟

[وقال الخطيب:] قدم أحمد بغداد، وحدَّث بها [رحمه الله تعالى][(٧)]، وسمع[(٨)] الإمامَ أحمد بن حنبل، وسفيان بن عُيينة، وابن مَعِين، وغيرهم، وأخرج عنه أبو داود، وابن ماجه، وأبو زُرْعَة الرازي، وغيرهم.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ) و(ف): وقيل.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ) و(ف): وقيل.

(٣) انظر طبقات الصوفية ص٩٩.

(٤) انظر مختصر تاريخ دمشق ٣/ ١٤٧. وكذا غلطه الذهبي في تاريخ الإسلام ٥/ ١٠٠٧ وانظر تهذيب الكمال ١/ ٣٧٥.

(٥) تاريخ أبي زرعة الدمشقي ١/ ٢٨٨، ٢/ ٧١٠، رواه عن ابن أبي الحواري.

(٦) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ) و(ف): وقال الخطيب: إنه قال.

(٧) لم أقف له على ترجمة في تاريخ بغداد.

(٨) من هنا إلى قوله: ذكر زوجته. ليس في (ب).

ومن رواياته: عن أبي بُرْدة، عن أبي موسى، عن أبيه[١]، عن رسول الله ﷺ قال: «إذا مرضَ العبدُ أو سافرَ، أمر الله ملكاً أن يكتبَ له ما كان يعمل وهو صحيح مقيم».

وقال يوسف بن الحسين الرازي: طلب أحمد العلم ثلاثين سنةً، فلمَّا بلغ منه الغايةَ، حمل كتبهَ إلى البحر وقال: يا علم، لم أفعل بك هذا تهاوناً ولا استخفافاً، وإنما طلبتُك لأهتدي بك إلى الله تعالى، فلمَّا اهتديتُ استغنيتُ عنك، ثم رَمى بها في البحر.

وقال ابن عساكر: قال أحمد: صحبتُ أبا سليمان مدَّةً، وقلت: دلَّني، فقال: قد طلبتَ العلم واجتهدت، فاطلب لنفسكَ الخلاص، وإيَّاك أن يشغلكَ العلم عن الله، فرجعتُ فرميتُ بكتبي في الماء.

ذكر زوجته:

واسمها رايعة ـ بياء منقوطة باثنتين من تحت[٢] ـ وكانت في الزهدِ والعبادة مثل رابعة بالبصرة، [لا] بل أبلغ.

[وروي عن أحمد بن أبي الحواري أنه قال:][٣] كانت إذا طبخت قدراً تقول لي: كلْها، والله ما أنضجَها إلَّا التسبيح[٤].

[وروى أبو عبد الرحمن أنَّها قالت لزوجها أحمد:][٥] ربما رأيتُ الحورَ العين يذهبنَ في داري ويجئن، ويسترنَ بأكمامهنَّ منِّي[٦].

[وروى ابن باكويه عن أحمد بن أبي الحواري قال:][٧] قلتُ لرايعة، وكانت تقومُ

---

(١) كذا في (خ) و(ف) وحلية الأولياء ١٠/ ٢٤، والصواب: عن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه. وأخرجه البخاري في صحيحه (٢٩٩٦) من غير طريق ابن أبي الحواري.

(٢) كذا في (خ) و(ف). وقيدها بالياء أيضاً ابن الملقن في طبقات الأولياء ص٣٥، وابن ناصر الدين في توضيح المشتبه ٤/ ٨٤، والصفدي في الوافي بالوفيات ١٤/ ٧٢. وفي (ب): ذكر زوجة أحمد بن أبي الحواري عامة الرواة على أن اسمها رابعة.

(٣) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ) و(ف): وقال أحمد.

(٤) في (ب): كلها فو الله ما أنضجتها إلا بالتسبيح. وانظر صفة الصفوة ٤/ ٣٠٢.

(٥) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ) و(ف): وقالت لزوجها.

(٦) ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات ص٦٠.

(٧) في (خ) و(ف): وقال أحمد، والمثبت من (ب).

الليل: قد رأينَا أبا سليمان، وتعبَّدنا معه، [ما] رأينا من يقوم من أول الليل، فقالت: سبحان الله، [مثلك][(١)] يتكلَّم بهذا، أنا أقومُ إذا نوديت.

[وحكى أبو نعيم عن سريٍّ السقطيّ قال:][(٢)] قدمتُ الشام، فدخلتُ على أحمد بن أبي الحواري المسجدَ، فسلَّمتُ عليه وقلت: عظني وأوجز، فقال: ما أُحسِن، ولكن سر إلى المنزل، ففيه من يُحْسِن، [قال:] فخرجتُ أطلبُ منزله، وإذا براهبٍ كبيرٍ خلفَه راهبٌ صغير، فقلت للصغير: لم تتبع هذا؟ قال: لأنه طبيبي يسقيني الدواء، [قال:] فوردَ من كلامه على قلبي شيءٌ لا أعقله، فجئتُ إلى منزل أحمد فطرقت الباب، فكلَّمتني امرأته[(٣)] من وراء حجاب، فذكرتُ لها قول الراهب، [قال:] فقالت: يا ليت شعري، أيَّ دواء يسقيه؛ دواء الإفاقة أم دواء الراحة؟ فقلتُ: بيِّني ما تقولين، فقالت: أمَّا دواء الإفاقة فالكفُّ عن محارم الله عزَّ وجلَّ، وأمَّا دواءُ الراحة فالرضى عن الله تعالى، قال سريّ: فوالله ما خرجَ كلامها من قلبي أبداً[(٤)].

وقال أحمد: سمعتُ رايعة تقول: ما رأيتُ ثلجاً إلا ذكرتُ به تطايرَ الصحف، ولا جراداً إلا ذكرتُ به الحشر، ولا سمعتُ أذاناً إلا ذكرتُ به منادي يوم القيامة.

قال: ودفعت إليَّ يوماً خمسة آلاف درهم، وقالت: تزوَّج بهذه أو تسرَّى، فإنِّي مشغولة عنك.

[قال:] وكانت تطبخُ الطعام وتقول: كُلِ اللحمَ، فإنَّك حديثُ عهدٍ بعرس، وتحتاجُ إليه، وكان لأحمد أربعة نسوة.

قال أحمد: وكان لها أحوالٌ، ففي حالةٍ غلبَ عليها الحبُّ تقول: [من الوافر]

حبيبٌ ليس يعدلُه حبيبُ ... وما لسواه في قلبي نصيبُ

(١) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ) و(ف): ومالك.

(٢) في (خ) و(ف): وقال سري السقطي، والمثبت من (ب).

(٣) في (ب): امرأة.

(٤) في مختصر تاريخ دمشق ٨/ ٣٤٨ ـ والخبر فيه ـ: ثم كلمتني بكلمة لا تخرج من رأسي أبداً، قلت: وما هي رحمك الله؟ قال: قالت: أما علمت أن العبد إذا أخلص بعمله لله عزَّ وجلَّ أطلعه الجليل على مساوئ عمله، فاشتغل بها عن جميع الخلق. قلت: بسّي.

حبيبٌ غابَ عن بصري وسمعي[١] ولكن عن فؤادي ما يغيبُ

وتارةً يغلبُ عليها الأنس فتقول: [من الكامل]

ولقد جعلتُك في الفؤاد محدِّثي وأبحتُ جسمي من أرادَ جلوسِي
فالجسمُ مني للجليس[٢] مؤانسٌ وحبيبُ قلبي في الفؤاد أنيسي

وتارةً يغلبُ عليها الخوف فتقول: [من الطويل]

وزادي قليلٌ ما أراه مُبلِّغِي أللزادِ أبكي أم لبعدِ مسافتي
أتحرقُني بالنَّار يا غايةَ المنى فأينَ رجائي فيكَ أين محبَّتي[٣]

وتوفيت[٤] سنة تسع وعشرين ومئتين.

دِعْبل بن عليّ

ابن رَزِين بن عمَّار[٥] بن عبد الله بن يزيد[٦] بن وَرْقاء الخُزاعيّ.

والدِّعبل البعيرُ المسنُّ العظيم الخَلْق، وكان دِعبلُ طوالاً ضخماً، شُبِّه بالبعير.

ولد سنة ثمان وأربعين ومئة، وبرعَ في علم الشعر والعربيَّة، وهو من الكوفة، وقيل: من قَرْقِيسيا، وكان أكثر مقامه ببغداد، وسافرَ إلى الشام وخراسان والبلاد، وصنَّف كتاباً في طبقات الشعراء، ذكر فيه جماعةً من أعيانهم، وكان هجَّاءً خبيثَ اللسان، أُطْرُوشاً، وفي قفاه سَلْعة.

هجا المعتصم، والواثقَ، والمأمونَ، والرشيدَ، وطاهرَ بن الحسين، والوزراء، والكتَّاب.

قال محمدُ بن عبد الملك الزيَّات يرثي المعتصم: [من المنسرح]

---

(١) في صفة الصفوة ٤/ ٣٠١ ، ومختصر تاريخ دمشق ٨/ ٣٤٩ : وشخصي.

(٢) في (خ) و(ف) : للأنيس. والمثبت من (ب) ، ومختصر تاريخ دمشق ٨/ ٣٤٩ ، وصفة الصفوة ٤/ ٣٠٣ .

(٣) في (ب) ، ومختصر تاريخ دمشق ٨/ ٣٥٠ : مخافتي. والمثبت من (خ) و(ف) وصفة الصفوة ٤/ ٣٠٢ .

(٤) وفي (ب) ـ وما سلف بين حاصرتين منها ـ: وتوفيت رابعة قبل أحمد في سنة تسع وعشرين ومئتين رحمة الله عليها . وانظر ترجمتها في المصادر السابقة، وترجم لها أيضاً ابن الجوزي في المنتظم ١١/ ١٤٦ .

(٥) كذا في (خ) و(ف) . وفي تاريخ بغداد ٩/ ٣٦٠ : عثمان. وترجمة دعبل ليست في (ب) .

(٦) كذا في (خ) و(ف) . وفي تاريخ بغداد: بديل. وانظر تاريخ دمشق ٦/ ٨٥ (مخطوط) .

قد قلتُ إذ غيَّبوهُ وانصرفوا فـي خيرِ قبرٍ بخير مدفونِ
لن يَجبُرَ اللهُ أمَّة فَقَدَتْ مثلكَ إلَّا بمثلِ هارونِ

فقال دعبل يعارضه: [من المنسرح]

قد قلتُ إذ غيَّبوه وانصرفُوا فـي شرِّ قبرٍ بشرِّ مدفونِ
اذهبْ إلى النار والجحيم فما خَلْقُك[1] إلَّا من الشياطينِ
ما زِلْتَ حتى عَقَدْتَ بيعةَ مَنْ أضرَّ بالمسلمينَ والدينِ

وكان إبراهيم بن المهدي يحرِّضُ المأمونَ على قتل دعبل، فقال المأمون: ما تحرِّضُني على قتله إلَّا لقوله فيك: [من الكامل]

فلتَصلحنْ من بعده لمخارقِ[2]

ولقوله:

خليفةٌ يرزق أجناده[3]

فقال إبراهيم: فقد قال فيك:

أيسومُني المأمون خطَّة ظالمٍ أو ما رأى بالأمسِ رأسَ محمدِ[4]

فقال المأمون: قد عفوتُ عن هجوه لأجل هجوِه لك.

ثم دخل أبو عبَّاد فقال المأمون: من يقدُم على أبي عبَّاد يُحجِمُ عن أحد؟ والله ما وقعتْ عيني على أبي عبَّاد إلَّا أضحكني قولُ دعبل:

أولى الأمورِ بضيعةٍ وفسادِ أمرٌ يدبِّره أبو عبَّادِ

(١) في ديوان دعبل ص٢٦٢ ، والأغاني٢٠/ ١٤٥ : خلتك.
(٢) عجز بيت صدره:
إن كان إبراهيم مضطلعاً بها
ديوان دعبل ص ١٩٨ .
(٣) كذا في (خ) و(ف) . وتمام البيت:
فهكذا يرزق أجناده خليفة مصحفه البربط
وهو في ديوان دعبل ص١٧٥ .
(٤) ديوان دعبل ص١٢٢ .

حنقٌ[١] على جلسائِه فكأنَّهم حَضرُوا لملحمةٍ ويوم جلادِ
وكأنَّه من ديرِ جنّة مقبلٌ[٢] حَردٌ يَجرُّ سلاسلَ الأقياد

ثم قال المأمون: أبو عبَّاد جاهلٌ حقود، وأنا أعفو وأصفح.

وكان دعبلُ من شيعةِ أمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالب رضوان الله عليه، وقصيدتُه التائيَّة من أفخر الشعر وأحسن المديح. [قال دعبل: قصدتُ بها أبا الحسن عليّ بن موسى الرضا، وهو بخراسان،][٣] وهو وليُّ عهد المأمون، فدخلتُ عليه فقرَّبني وأدناني، فقلت له: يا أبا الحسن قد نظمتُ فيكم أهلَ البيت قصيدةً، وآليتُ على نفسي أن لا أنشدَها لأحدٍ قبلَك، فجمعَ أهله ومواليه وقال: قل على خيرةِ الله تعالى، فقلت: [من الطويل]

مدارسُ آياتٍ خَلت من تلاوةٍ ومهبطُ وحيٍ موحشُ العَرصاتِ
لآلِ رسولِ الله بالخيفِ من منى وبالبيتِ والتعريفِ والحجراتِ[٤]
ديارُ عليٍّ والحسينِ وجعفرٍ وحمزةَ والسجَّاد ذي الثَّفِنَاتِ[٥]
ودارٌ لعبد الله والفضل صِنْوُه ودارُ عبيدِ الله ذي الدَّعواتِ
ديارٌ عفاها جورُ كلِّ منابذٍ ولم تَعفُ بالأيام والسنواتِ
قِفا نسأل الدارَ التي خَفَّ أهلُها متى عهدُها بالصومِ والصلواتِ
وأين الأُلى شَطَّت بهم غربةُ النَّوى أفانينَ في الأطرافِ مفترقاتِ
همُ أهلُ ميراثِ النبيِّ إذا اعتزَوا وهم خيرُ ساداتٍ وخيرُ حماةِ
قبورٌ بكُوفانٍ وأخرى بطيبةٍ وأخرى بفخٍ نالها صلواتِ
وقبرٌ بأرض الجُوزَجان محلُّه وقبرٌ بباخَمْرى لذي القرباتِ[٦]
وقبرٌ ببغدادٍ لنفسٍ زكيَّةٍ تضمَّنَها الرحمنُ في الغُرُفاتِ

(١) كذا في (خ) و(ف). وفي الأغاني ٢٠/ ١٤١، وديوان دعبل ص١٢٥: خَرِقٌ.
(٢) كذا في (خ) و(ف). وفي المصادر: وكأنه من دير هِرْقِلَ مُفْلتٌ.
(٣) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق، زدتها من الفرج بعد الشدة ٤/ ٢٢٧.
(٤) في معجم الأدباء ١١/ ١٠٣، وديوان دعبل ص٧٨: وبالركن والتعريف والجمرات.
(٥) ذو الثفنات: عليُّ بن الحسين بن علي، المعروف بزين العابدين، لقب بذلك لأن مساجده كانت كثفنة البعير من كثرة صلاته ﷺ. انظر القاموس وتاج العروس (ثفن).
(٦) في الديوان ص٨٠: لدى العَرِمات.

نفوسٌ لدى النهرين من أرضِ كربلا ... مُعرَّسُهم[١] فيها بشطِّ فراتِ
تقسَّمهُم ريبُ المنونِ فما تَرى ... لهم عَقْوَةً[٢] مغشيَّةَ الحُجُراتِ
وقد كان منهم بالحجازِ وأرضِه ... مغاويرُ نحَّارونَ للبَدَناتِ[٣]
إذا افتخَروا يوماً أتَوا بمحمدٍ ... وجبريلَ والقرآن ذي السُّورَاتِ
مَلامَكَ[٤] في آل النبيِّ فإنَّهم ... أودّايَ ما عاشُوا وأهلُ ثقات
تخيَّرتُهم رشداً لأمريَ إنَّهم ... على كلِّ حالٍ خِيْرَةُ الخيرَاتِ
فيا ربِّ زدني في يقيني بصيرةً ... وزدْ حبَّهم يا ربِّ في حسناتي
بنفسيَ أنتم من كهولٍ وفتيةٍ ... لفكِّ عُنَاةٍ أو لحملِ دياتِ
أحبُّ قَصِيَّ الرَّحْمِ من أجل حُبِّكم ... وأهجرُ فيكم إخوتي وبناتي
وأكتمُ حُبِّيْكُم[٥] مخافةَ كاشحٍ ... بغيضٍ لأهل الحق غيرِ مواتِ
ألم تر أنِّي مذ ثلاثون حِجَّةً ... أروحُ وأغدو دائمَ الحسراتِ
أليسَ عجيباً أنَّ آلَ محمدٍ ... مذودين مطرودين في الفلواتِ
بناتُ رسول الله يسبينَ بالعرا ... وآل زيادٍ سُكَّن الحجراتِ
وآلُ رسول الله نحفٌ جسومُهم ... وآلُ زيادٍ غُلَّظُ القَصَراتِ
أرى فيئَهم من غيرهم متقسَّمًا ... وأيديهم من فيئهم صَفِراتِ
إذا وُتروا مَدُّوا إلى واتريهمُ ... أكفّاً عن الأوتارِ منقبِضاتِ
فلا والذي أرجوه[٦] في اليومِ أو غدٍ ... تقطَّع قلبي إثرهُم حسراتِ
خروجُ إمامٍ لا محالةَ ثائرٍ ... يقومُ على اسمِ الله والبركاتِ
يميِّزُ فينا كلَّ حقٍ وباطلٍ ... ويجزي [على] النعماء بالزلفات[٧]

(١) عرَّس القوم: نزلوا في آخر الليل للاستراحة. القاموس (عرس).
(٢) العقوة: ما حول الدار والمحلَّة. القاموس (عقا).
(٣) في الديوان ص٨٣ : في السنوات.
(٤) في (خ) و(ف) : سلامك. والمثبت من ديوان دعبل ص٨٤ ، ومعجم الأدباء ١١/ ١٠٧ .
(٥) في (خ) و(ف) : حبكم. والمثبت من ديوان دعبل ص٨٥ ، ومعجم الأدباء ١١/ ١٠٧ .
(٦) في ديوان دعبل ص٨٦ ، ومعجم الأدباء ١١/ ٨٦ : فلولا الذي أرجوه.
(٧) في الديوان ص٨٧ ، ومعجم الأدباء ١١/ ٨٧ ـ وما بين حاصرتين منهما ـ: ويجزي على النعماء والنقمات.

فيا نفسُ طيبي ثمَّ يا نفسُ فابشري فغيرُ بعيدٍ كلُّ ما هو آتِ

فبكى الرضا حتى رحمه الحاضرون، ثمَّ قام ودخل وأرسلَ إليَّ مع خادمه عشرةَ آلاف درهم من الدراهم المضروبة باسمه، فقلت: والله ما قصدتُ هذا، ولا لأجله مدحت، وإنَّما أريدُ ثوباً من ثيابه يكون كفناً لي، فعاد إليه بالمال، فردَّه إليَّ ومعه جبَّةٌ من جبَّاته، وقال: بحقِّ أهل البيت لا ترجع إلينا ما خرجَ منَّا، قال: وخرجتُ فقدمت، فنظروا إلى الجبَّة فعرفوها، فأعطوني فيها ثلاثين ألف درهم، فقلت: لا والله، ولا بالدنيا وما فيها، ثم خرجت من قم فاتبعوني، وقطعوا الطريق عليَّ، وأخذوا الجبَّة، فبكيت وقلت: يا قوم، لا تفعلوا، خذوا العشرة آلاف درهم ودعوا الجبَّة، فقالوا: لا بدَّ منها، وأعطوني خرقة منها، فقلت: هذه لأكفاني، وأعطوني ثلاثين ألف درهم، وقدمت العراق فاشتري مني العشرة آلاف بمئة ألف، كلُّ درهمٍ بعشرة.

وقال القاضي التنوخيُّ: لما بلغ المأمون الأبيات ـ وكان ساخطاً على دعبل ـ طلبَه من الرضا، فلمَّا حضر قال للرضا: قل له ينشدُ الأبياتَ، فأنشدها، فأمر له المأمونُ بخمسين ألفاً، ورضيَ عنه، فقال دعبل للرضا: يا سيدي، أريدُ أن تهبَ لي ثوباً من ثيابك التي تلي بدنَك أتكفَّن فيه، فوهب له قميصاً قد ابتذله، وأمر له ذو الرياستين بصلة. قال دعبل: وحملَني على برذونٍ أصفر خراسانيّ، فقفَلتُ راجعاً إلى العراق، فقطعَ عليَّ الطريق لصوص، وأخذوا جميعَ ما كان معي، ومعهم جيشٌ من الأكراد، يقال لهم: المازنجان[1]، وأخذوا جميعَ ما كان معي وفي القافلة، فقعدتُ أبكي، ولم أتأسَّف إلَّا على القميص، ومرَّ بي بعضُهم على البرذون التي لي، ووقف قريباً مني، وأنشد: مدارسُ آيات ... الأبيات، وجعلَ يبكي، فعجبتُ وقلت: يا سيدي، لمن هذه الأبيات؟ فقال: لدِعْبِل شاعر آل محمد، فقلت: أنا والله دِعْبل، وهذه قصيدتي، قال: ويحك ما تقول؟! فقلت: هو والله ما أقول وأنشدته إيَّاها، وقلت: سل القافلة، فقال: لا جرم والله لا يذهبُ لواحدٍ منكم عقال، ورَدُّوا جميعَ ما أخذوا[2]، فقلت: هذا مما أُكرِمتُ به في الدنيا ببركةِ آل محمد ﷺ، وأرجو في الآخرة كذلك.

(١) كذا في (خ) و(ف). وفي الفرج بعد الشدة ٤/٢٢٨: المازنجان.

(٢) الفرج بعد الشدة ٤/٢٢٨-٢٣٠.

وروى المبرِّدُ عن دعبل قال: لما قلتُ:

مـدارسُ آيـاتٍ خـلـت مـن تـلاوةٍ

نمتُ في بيتٍ، والباب يجافُ عليَّ، وإذا بقائلٍ يقول من زاوية البيت: السلام عليك أبا محمد وأبا الحسن[١] فرددتُ عليه. وقلتُ: من أنت؟ فقال: أخٌ من إخوانك من الجن ومعي أخداني، ونحن ممَّن يحبُّ أهل البيت، قلت: فمن أنت؟ قال: طيبار ابن عامر[٢]، فأنشدتُ القصيدة فسمعت بكاءً عظيماً من ناحية البيت.

وقال أبو العيناء: اجتاز دِعْبل بالرقَّة، فمدح أميرَها[٣] فمنعه العطاء فقال: [من الكامل]

إن قـلـتُ أعـطـانـي كـذبـت وإن أقُـل ... ضَـنَّ الـجـوادُ بـمـالِـه لـم يَـجْـمُـلِ
ولأنـتَ أعـلـمُ بـالـمـكـارم والـعُـلا ... مـن أن أقـولَ فـعـلـتَ مـا لـم تَـفـعـلِ
فـاخـتـر لـنـفـسـك مـا أقـولُ فـإنَّـنـي ... لا بـدَّ مـخـبـرُهـم وإنْ لـم أُسـألِ

فبعث إليه بألف دينار[٤].

وقال أبو الفرج[٥] الأصبهاني: إنَّما كتبَ بها إلى عبدِ الله بن طاهر ومنها:

لـمـا رأتْ شـيـبـاً يـلـوحُ بـمـفـرقـي ... صَـدَّت صـدودَ مـفـارقٍ مُـتَـجـمِّـلِ
فـظـلـلـتُ أطـلـبُ وصـلَـهـا بـتـذلُّـلٍ ... والـشـيـبُ يـغـمـزُهـا بـأن لا تـفـعـلِ[٦]

وقال دعبل: كنتُ بالثغر فنودي بالنفير، فخرجتُ مع الناس، وإذا بفتى يجرُّ رمحَه، فنظر إليَّ وقال: اسمع: [من مجزوء الرمل]

أنـــا فـــي أمـــرَي رشـــاد ... بـــيـــنَ غـــزوٍ وجـــهـــادِ

---

(١) كذا في (خ) و(ف).

(٢) في الأغاني ٢٠/ ١٤٢، ومعاهد التنصيص ٢/ ٢٠٠: ظبيان بن عامر.

(٣) في تاريخ دمشق ٦/ ٧٤ (مخطوط) أنه قالها لعبد الله بن طاهر.

(٤) العقد الفريد ١/ ٢٧٢. وفيه أنه أمر له بعشرة آلاف درهم. والأبيات في ديوان دعبل ص٢٢٠-٢٢١.

(٥) في (خ) و(ف): وقال أبو الفرج بن طاهر الأصبهاني!؟ ولم أجده في الأغاني.

(٦) ديوان دعبل ص٤٥٦ قسم الشعر الذي نسب إلى دعبل وليس له. وانظر تاريخ بغداد ٩/ ٣٦٢، وتاريخ دمشق ٦/ ٧٢.

بـــدنـــي يـــغـــزو عـــدوِّي والـــهـــوى يـــغـــزو فـــؤادي

ثم قال: جيد؟ قلت: جيد، فقال: والله ما خرجتُ إلا هارباً من الحبّ، ثم التقينَا، فكانَ أوَّل قتيل[١].

ولدعبلٍ كتابٌ جمعَ فيه أخبارَ الشعراء، ذكر فيه جملةً من الأعيان، ذكر فيه عن عبد الله بن محمد بن رَزِين الشاعر الخزاعيّ ـ وأبو الشيص كنيةُ أبيه ـ قولَه: [من الوافر]

أظـنُّ الـدهـرَ قـد آلَـى فـبـرَّا بـأن لا يُـكـسِـب الأمـوالَ حـرَّا
لـقـد قـعـد الـزمـانُ بـكـلِّ حـرٍّ ونـقَّـص مـن قـواه الـمـسـتـمـرَّا
ومـلَّـك مـن رقـابِ الـمـالِ قـومـاً ومـلَّـكـهـم بـه نَـفـعـاً وضـرَّا
ومـن جـعـل الـكـلامَ لـه قَـعـوداً أصـابَ مـن الـدُّجـى خـيـراً وشـرَّا[٢]

وأبو الشيص من شعراء الحماسة، وهو القائل فيها:

وقفَ الهوى بي حيثُ أنتِ فليسَ لي مـتـأخَّـر عـنـه ولا مُـتـقـدَّمُ
أجـدُ الـمـلامـةَ فـي هـواكِ لـذيـذةً حُـبّـاً لـذكـركِ فـلـيـلـمـنِـي الـلـوَّمُ
أشـبـهـتِ أعـدائـي فـصـرتُ أحـبُّـهـم إذ كـانَ حـظِّـي مـنـكِ حـظِّـي مـنـهـمُ
وأهـنـتـنِـي فـأهـنـتُ نـفـسِـيَ صـاغـراً مـا مـن يَـهـونُ عـلـيـكِ مـمَّـن يُـكـرَمُ[٣]

ذكر وفاته:

ذكر بعضُهم أنَّ المعتصمَ قتلَه في سنة ستٍّ وعشرين ومئتين، وهو وهم، والأصحُّ أنه عاش إلى هذه السنة، توفي بالطِّيب، ودفن بالسُّوس، وله تسعٌ وتسعون سنة.

وقال المبرِّد: كان دعبل قد هَجا مالك بن طوق الثعلبيَّ صاحبَ الرَّحْبَة، فطلبه فهرب إلى البصرة وعليها إسحاقُ بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، وكان قد هجاه، فأخذَه وأرادَ قتله، فحلف له أنَّه ما هجَاه، وبكى وتضرَّع إليه، فرقَّ له وأطلقه، فضرب إلى الأهواز، وكان مالك قد أرسل خلفَه رجلاً، وأمرَه أن يغتالَه، وضمن له عشرة آلاف درهم ودفع إليه سُمّاً في زُجِّ عكاز، ثم وافاه ببعضِ قرى

(١) اعتلال القلوب ص٢١٥.
(٢) تاريخ بغداد ١١/ ٢٥٧ ترجمة عبد الله بن أبي الشيص.
(٣) ديوان الحماسة ٣/ ١٣٧٤ بشرح المرزوقي.

السُّوس، فرصدَه حتى خرج ليلةً بعد العشاء، فضربَه من خلفه بالعكَّاز في ظهره، فأنفذه، ومات من الغد في تلك القرية، فحمِل إلى السُّوس.

أسندَ دعبلُ الحديث عن المأمون، ومالك بن أنس، ويحيى بن سعيد القطَّان، وسفيان بن عُيينة[١]، وغيرهم. وروى عنه أحمدُ بن أبي دؤاد. ورُوي عنه أحاديث مسندة عن مالك بن أنس وغيره، وكلُّها باطلة[٢].

ذو النون ابن إبراهيم

المصري النوبي، وذو النون لقبه، [واختلفُوا في اسمه على قولين؛ أحدهما: ثَوْبَان، والثاني: الفيض، واختلفوا في كنيته على قولين؛ أحدهما: أبو الفيض، والثاني: أبو العباس][٣]، وأبوه من إخميم، قريةٍ بصعيد مصر، مولى إسحاقِ بن محمد الأنصاري.

[قال السلميُّ:] وكان لإبراهيم بَنُون؛ ذو النُّون، وذو الكفل، وعبد الباري، وعبد الخالق، والهميسع[٤].

[قال:] وكان ذو النون أوحدَ زمانه علماً وحالاً وورعاً وأدباً، وكان فصيحاً واعظاً، ينطق بالحكمة، وهو رئيسُ القوم، وإليه المرجعُ والقَبول على جميع الألسن، وهو أوَّل من عبَّر عن علوم المنازلات، وله الرياضات المذكورة، والسياحاتُ المشكورة، وانتقل من إخميم إلى مصر.

وقد أثنى عليه الأئمة، وقال الدارقطنيُّ: كان أسمر نحيفاً جداً ينطقُ بالحكمة، وكان يعلوه حمرة[٥].

---

(١) كذا في (خ) و(ف). والصواب ـ كما في تاريخ دمشق ٦/ ٦٩ (مخطوط) ـ : يحيى بن سعيد الأنصاري وسفيان الثوري.

(٢) انظر تاريخ بغداد ٩/ ٣٦١.

(٣) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ) و(ف): واسمه ثوبان أبو الفيض.

(٤) في تاريخ بغداد ٩/ ٣٧٨، والمنتظم ١١/ ٣٤٦، وصفة الصفوة ٤/ ٣١٤، وتاريخ دمشق ٦/ ١٧١ (مخطوط): وكان له أربع بنين... فلم يذكروا عبد الخالق.

(٥) لم أقف عليه. ونقل ابن عساكر عن الدارقطني قوله: ذو النون بن إبراهيم رُوي عنه عن مالك أحاديث في =

وقال أبو عبد الله بن الجلّاء: لقيت ستَّ مئة شيخ ما لقيت منهم مثل أربعة، ذو النون أحدهم[١].

[ذكر سبب توبته وتخلِّيه عن الدُّنيا وإقباله على الآخرة:

واختلفوا على أقوال؛ أحدها ما ذكره في «المناقب» عن سالم المغربي قال:][٢] قلت لذي النون: ما كان سبب توبتك؟ فقال: خرجت من مصر إلى بعض القرى، فنمتُ في بعض الصحارى، ففتحتُ عيني فإذا بقُنْبُرةٍ عمياء، قد وقعت من وكرها على الأرض، فانشقَّ الموضعُ، فخرج منه سُكْرُجتان، إحداهما من ذهب، والأخرى من فضة، وفي إحداهما سِمْسِم، وفي الأخرى ماء، فجعلت تأكلُ وتشرب[٣]، فقلت: حسبي، قد تبت، ولزمتُ البابَ إلى أن قبلني.

[والثاني: قرأتُ على شيخنا الموفق رحمه الله من كتاب «التوابين»][٤] بإسناده إلى ذي النون قال: كنتُ يوماً إلى جانب غدير ماء، وإذا بضفدع قد خَرَجَت من الغدير، وهناك عقرب، فركبتِ الضفدعَ، وجعلت تسبحُ بها حتى عبرت، فقلت: لهذه شأن [عظيم]، فتبعتُ العقرب، فجاءت إلى رجلٍ نائمٍ وهو سكران، وعلى صدره حيَّةٌ، وهي تطلب أذنَه لتدخلَ فيها، فضربَتْهَا العقربُ فانقلبت الحيَّة ميتة، ورجعت العقربُ إلى الغدير، والضفدع واقفةٌ تنتظرُهَا، فركبتْهَا وعبرت، [فحرَّك ذو النون الرجلَ وقال:][٥] ويحكَ اقعد وانظر ممَّ نجَّاك الله، ثم [أنشأ ذو النون يقول:] [من المنسرح]

يا نائماً والجليلُ يحرسُه ... من كلِّ سوءٍ يَدِبُّ في الظُّلمِ
كيفَ تنامُ العيونُ عن مَلِكٍ ... تأتيك منه فوائدُ النِّعَمِ

فنهضَ الرجل وقال: إلهي، هذا فعلُك مع من يعصيك، فكيف من يطيعك؟! ثمَّ

= أسانيدها نظر، وكان واعظاً، وانظر مناقب الأبرار ١/ ٨٢.

(١) تاريخ بغداد ٩/ ٣٧٤.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ) و(ف): وقال سالم المغربي.

(٣) بعدها في (ب): من الأخرى، وفي مناقب الأبرار ١/ ٨٥: فجعلت تأكل من هذا، وتشرب من هذا.

(٤) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ) و(ف): وقال شيخنا موفق الدين.

(٥) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ) و(ف): فحركت الرجل وقلت.

تاب وحسنَتْ توبتُه[١]، [وشاهدت ذلك.

والثالث: حكاهُ عبد الله بن باكويه الشيرازي بإسناده إلى يوسف بن الحسين الرازي: استأنست بذي النون][٢] فقلت له: أيُّها الشيخ، ما كان بدوُّ شأنك؟ فقال: كنت شاباً صاحبَ لهوٍ ولعب، ثمَّ تُبتُ، وتركتُ ذلك، وخرجت حاجًّا إلى مكَّة ومعي بُضَيِّعَة[٣]، فركبتُ في مركبٍ مع تجَّار من مصر، وركبَ معنا شابٌّ صَبيح الوجه، [كأن وجهه يشرق،][٤] فلمّا توسَّطنا البحر فقد صاحبُ المركب كيساً فيه مال، وأمر بحبس المركب، ففتَّشَ من فيه، وأتعبهم، فلمَّا وصلوا إلى الشاب ليفتِّشُوه، وثبَ وثبةً من المركب حتى جلس على أمواج البحر، وقام له الموجُ على مثال السرير، ونحن ننظر إليه، ثمَّ قال: يا مولاي، إنَّ هؤلاء اتَّهموني، وإني أُقسِم عليك يا حبيب قلبي أنْ تأمر كلَّ دابَّةٍ في هذا المكان أنْ تُخرِجَ رأسَها وفي [أفواهها جوهر][٥]. قال ذو النون: فما تمَّ كلامُه حتى رأينا دوابَّ البحر أمام المركب وحواليه وقد أخرجت رؤوسها، وفي فم كلِّ دابَّةٍ منهنَّ[٦] جوهرةٌ تتلألأ، ووثبَ الشابُّ من الموج، وجعلَ يتبختر على متن الماء ويقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ حتى غابَ عن بصري، فهذا الذي حملني على السياحة.

[ذكر طرف من أخباره][٧]

وقال ذو النون: جَنَّني الليلُ في سواد نيل، فنمتُ بين زرعها، وإذا بامرأةٍ سوداء قد أقبلت فأخذت سنبلةً ففركتها، ثم بكت، وقالت: يا من بذره حبًّا في أرضٍ يابسةٍ ولم

(١) كتاب التوابين ص٢٣٤-٢٣٥ . وظاهر أن هذه القصة في توبة الرجل السكران، لا توبة ذي النون. والله أعلم.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب) . وفي (خ) و(ف) : قال يوسف بن الحسين الرازي: كنت مع ذي النون.

(٣) في (خ) و(ف) : بضيعتي. والمثبت من (ب) وكتاب التوابين ص٢٣٣ .

(٤) في (خ) و(ف) : يشرق وجهه. والمثبت من (ب) .

(٥) ما بين حاصرتين من (ب) . وفي (خ) و(ف) : وفي فيها جوهرة.

(٦) في (ب) : كل واحدة منهم.

(٧) ما بين حاصرتين من (ب) . ومن قوله: وقال ذو النون.... إلى قوله: وقال: حججت مرة. ليس في (ب).

يكُ شيئاً، ثمَّ صيَّرتَهُ حشيشاً، ثم جعلتَه عوداً قائماً، ثم رَكَّبتَ عليه حبًّا متراكباً، وكَوَّنته بتكوينك، وأنتَ على كلِّ شيءٍ قدير، ثم قالت: عجبتُ لمن هذه قدرته كيف يُعْصَى؟! ولمن هذه صنعتُه كيف لا يُطَاع؟! ولمن هذه مشيئته كيف يشتكى؟! فدنوتُ منها وقلت: من يشكو؟ قالت: أنتَ يا ثوبان، إذا مرضتَ فلا تشكُ علَّتكَ إلى مخلوقٍ مثلك، واطلب دواءك ممن ابتلاك، ثمَّ ولَّت وهي تقول: لا حاجةَ لي في مناظرة البطَّالين، وأنشدت: [من الطويل]

وكيف تنامُ العينُ وَهْي قريرةٌ ولم تدرِ في أيِّ المحلَّين تنزلُ[1]

وقال: بينا أنا أسيرُ في جبال بيتِ المقدس في ليلةٍ مظلِمةٍ، إذ سمعتُ صوتاً حزيناً وبكاءً عالياً، وهو يقول: يا وحشتي بعد الأنس، ويا فقري بعد الغنى، ويا ذلِّي بعد العزّ، فتتبعتُ الصوتَ، فلمَّا طلعَ الفجرُ إذا شابٌّ ناحلُ الجسم، فسلَّمتُ عليه وقلت: ما الذي بك؟ قال[2]: [من المديد]

أنا لم أرزق مودَّتهُم إنَّما للعبدِ ما رُزِقا
كان لي قلبٌ أعيشُ به فرمَاه الحُبُّ فاحترقَا

فقلت: تنتحلُ المحبَّة، وذلك إرادة، وأنشدتُه: [من مجزوء الكامل]

إنَّ المحبَّ هو الصبو رُ على البلاءِ لمن أحبَّهْ
حبُّ الحبيب هو الدوا ء مع الشفاءِ لكلِّ كُرْبَهْ

فبكى وغاب عني.

وقال سعيد بن عثمان: بينا أنا أسير مع ذي النون في تيهِ بني إسرائيل، إذا نحن بشخصٍ قد أقبل، فقال لي ذو النون: تأمَّل هذا الشخص، فتأمَّلتُه، فإذا هو امرأة، فقال: صدِّيقةٌ وربِّ الكعبة، ثمَّ بادرها بالسلام، فردَّت وقالت: ما للرجال وخطاب النساء؟!

فقال: أنا أخوك ذو النون، ولست من أهل التُّهم، ما الذي حملك على دخول هذا المكان؟

---

(١) انظر حلية الأولياء ٩/ ٣٤٤، ومناقب الأبرار ١/ ٨٦.

(٢) في (ف): وقلت: ما الذي تقول. وانظر حلية الأولياء ٩/ ٣٤٥.

فقالت: آيةٌ من كتاب الله وهي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾[النساء: ٩٧]، فكلَّما دخلتُ بلداً يُعصى فيه حبيبي لم يَهنني فيه قرار، فقال لها: صِفي لي المحبة، فقالت: سبحان الله، أنت تتكلم بلسان المعرفة، وتسألُني عن المحبة؟! فقال: نعم، للسائل حقُّ الجواب، فقالت: نعم، أول المحبة لَهَجُ القلب بذكر المحبوب، مع الشوق الدائم، والوجد الملازم، فإذا انتهى المحبُّ إلى أعلى درجاتها، شغلَه وجدان الحال[١] عن كثيرٍ من أعمالِ الطَّاعات، ثم أَخَذَتْ في الشهيق والبكاء، وولَّت وهي تقول:

أحبُّك حبين حب الوداد ... وحبًّا لأنَّك أهلٌ لذاكا
فأمَّا الذي هو حبُّ الوداد[٢] ... فحبٌّ شغلتُ به عن سواكا
وأمَّا الذي أنتَ أهلٌ له ... فكشفكَ للحُجْب حتى أراكَ
فما الحمدُ في ذا ولا ذاكَ لي ... ولكن لك الحمدُ في ذا وذاكا

قال: ثم غابت عني[٣].

وقال ذو النون: بينا أنا أسير في بعض بلاد الشام، وإذا بعابدٍ قد خرجَ من كهفٍ، فلمَّا رآني استترَ عني بين الأشجار، ثم قال: أعوذُ بك يا سيِّدي ممَّن يشغلُني عنك، يا مأوى القلوب، ويا حبيبَ المشتاقين، ويا مُعِين الصادقين، ويا غايةَ أمل الآملين، ويا قرَّةَ عين المحبِّين، ثم صاح: واغمَّاه من طول المكث في هذه الدار، فدنوتُ منه وقلت له: بالذي تسيرُ إليه، ادع لي، فقال: سبحان من أذاق قلوب العارفين حلاوةَ الانقطاع إليه، فلا شيء عندهم ألذّ من الخلوة به، والتضرُّع بين يديه، قدوس قدوس، خفَّفَ الله عليكم مؤنةَ نصبِ المسير إلى بابه، ثم هرب بين الشجر[٤] كأنَّه هاربٌ من سَبُع[٥].

---

(١) كذا في (خ) و(ف). وفي حلية الأولياء ٩/ ٣٤٨: الخلوات، وفي مناقب الأبرار ١/ ٨٨: وجدان عن كثير.
(٢) في حلية الأولياء ومناقب الأبرار: حب الهوى. في الموضعين.
(٣) في الحلية. ثم شهقت شهقة فإذا هي قد فارقت الدنيا.
(٤) من هنا إلى قوله: وسأله المقام. ورقة مفقودة من النسخة (ف).
(٥) انظر الخبر بنحوه في حلية الأولياء ٩/ ٣٥٦، ومناقب الأبرار ١/ ٨٨، وصفة الصفوة ٤/ ٣٦٠-٣٦١.

وقال [ذو النون:] حججتُ مرَّةً، فبينا أنا أطوفُ في ليلةٍ مظلمةٍ إذا بشخصٍ قد تعلَّقَ بأستار الكعبة وهو يبكي ويقول: [من الكامل]

روَّعتَ قلبي بالفراقِ فلم أجد[١] شيئاً أمرَّ من الفراقِ وأوجعَا
حسب الفراقِ بأنْ يفرِّقَ بيننا ولطالما قد كنتُ منه مروَّعَا

[قال:] فدنوتُ منه فتجلَّل بخمار، وقال: غُضَّ بصرَك، فإنِّي حرام، فعلمتُ أنَّها امرأة، فقلتُ: بم تستولي الهمومُ على قلب المحبّ؟ قالت: لأنَّ الشوقَ يورثُ السقام، ثمَّ قالت: [من الخفيف]

لم أذق طيبَ[٢] طعمِ وصلكَ حتَّى زالَ عنِّي محبَّتي للأنامِ

ثم غابت عنِّي.

[ذكر قصة يوسف بن الحسين الرازي مع ذي النون في الاسم الأعظم:

حكى ابن خميس في «المناقب» عن يوسف بن الحسين الرازي قال:][٣] بلغني أنَّ ذا النون يعرف اسم الله [تعالى الأعظم]، فخرجتُ إليه قاصداً من مكَّة، فوافيته بجيزة مصر، فدخلتُ عليه، فاستبشع منظري؛ لأنِّي كنتُ طويلَ اللحية، وفي يدي ركوةٌ كبيرةٌ، وأنا متَّزر بمئزرٍ من صوف، وعلى كتفي مثله، فسلَّمت عليه، فلم أر منه تلك [الساعة] البشاشة، فأقمتُ عنده يومين، فجاءَه رجلٌ من المتكلِّمين، فناظره [في علم الكلام]، فظهرَ على ذي النون، فتقدَّمتُ إلى الرجل فناظرتُه حتى قطعتُه، فقال ذي النون: اعذرني، فما عرفتُ محلَّك من العلم، فكان يكرمُني بعد ذلك، فأقمتُ عنده سنةً، فقال لي: ما الذي تريد؟ فقلت: بلغني أنَّك تعرفُ الاسم الأعظم، فعلِّمني إيَّاه، فأعرضَ عني مدَّةً، ثم أخرجَ لي سلَّة مشدودة الرأس بخيط[٤]، وقال: تعرف صاحبنا فلاناً بالفُسْطَاط؟ قلت: نعم، قال: احمل إليه هذه، فأخذتُها وخرجتُ إلى بعض

(١) في (خ): يكن. والمثبت من (ب). وحلية الأولياء ٩/ ٣٧٥، ومناقب الأبرار١/ ٨٩.

(٢) لفظة: طيب. من (خ)، وليست في (ب) وفي حلية الأولياء ٩/ ٣٧٥، ومناقب الأبرار١/ ٩٠: طعم. وما سلف بين حاصرتين من (ب).

(٣) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ): وقال يوسف بن الحسين الرازي.

(٤) في حلية الأولياء ٩/ ٣٨٧، وتاريخ بغداد ١٦/ ٤٦٥، ومناقب الأبرار ١/ ٩١ أنه أخرج إليه من بيته طبقاً ومكبة مشدوداً في منديل.

الطريق، فوجدتُها خفيفةً، فقلتُ: كيف يهدي ذو النون إلى صاحبه سلَّة فارغةً، لأحلنَّها وأنظر ما فيها، [قال:] فكشفتُها وإذا بفأرةٍ قد خرجت منها وذهبَتْ، فاغتظتُ وقلت: سخرَ بي ذو النون، ورجعتُ إليه فقال: أوصلتَها؟ فسكتُّ، فقال: ائتمَنتُكَ على فأرةٍ فخنتَني فيها، فكيف أأتمنُك على اسم الله الأعظم؟! قم وارحل [عنِّي].

[قال أبو القاسم ابن عساكر في ترجمة ذي النون:] كان ذو النون يخرجُ مع أصحابه إلى المطالب، فحفرُوا يوماً، فوجدوا مالاً عظيماً، ولوحاً من ذهب، فيه مكتوبٌ اسمُ الله الأعظم، فدفعَ إليهم المال وأخذ اللوح[١].

[ذكر بعض كراماته:]

[حكى عنه في «المناقب» أنه قال:][٢] أتتني امرأة فقالت: [يا ذا النون، أو] يا أبا الفيض، أخذَ التمساحُ ابني الساعة، قال: فرحمتُها وقمتُ معها، فأتيتُ النيل وقلت: اللَّهمَّ أظهر التمساح، فظهر فشققتُ جوفَه، وإذا بابنِها قد ظهرَ صحيحاً [حيًّا]، فأخذَتْه وذهبَتْ، وقالت: كنتُ إذا رأيتُك سخرتُ منك، وأنا تائبةٌ، فاجعلني في حلّ.

[وحكى أيضاً عن يوسف بن الحسين الرازي قال:][٣] كنتُ عند ذي النون، فجاء إليه رجلٌ، وشكا إليه ديناً كان عليه، نحواً من سبع مئة دينار، فأخذَ ذو النون حصاةً من الأرض، وقال للرجل: خذها، فأرجو أن يكونَ فيها قضاء دينك، فاحتقرَها، ومضى [بها] إلى سوقِ الجوهر، فباعها بألفٍ وأربع مئة دينار.

[وحكى أيضاً عن يوسفُ بن الحسين قال:][٤] تَذَاكَرْنَا يوماً أحوال القوم، فقال ذو النون: إنَّ من طاعة الأشياء للأولياء أن أقول لهذا السرير: در، فيدور، فدار السرير في زوايا البيت، [قال:] وكان معنا فتى، فما زال يبكي حتى مات في وقته ذلك[٥].

---

(١) انظر الخبر في تاريخ دمشق ٦/ ١٤٩ (مخطوط) والسياق فيه مختلف عما هنا.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ): وقال ذو النون. والخبر في مناقب الأبرار ١/ ٨٩.

(٣) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ): وقال يوسف بن الحسين الرازي. والخبر في مناقب الأبرار ١/ ٩٢.

(٤) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ): وقال يوسف بن الحسين.

(٥) الخبر في مناقب الأبرار ١/ ٩٦، والرسالة القشيرية ص٥٣٩ لكن من حكاية أبي جعفر الأعور. وما سلف بين حاصرتين من (ب).

[وذكر في «المناقب» أيضاً عن أحمد بن محمد السلمي قال:][(١)] دخلت يوماً على ذي النون، فرأيتُ بين يديه النَّدَّ والعنبرَ يُسجَر في طَسْتٍ من ذهب، فقال [لي:] أنت ممَّن يدخلُ على الملوك في حال بسطهم؟ ثم رمى إليَّ بدرهمٍ، فأنفقتُ منه إلى بلخ[(٢)].

[وحكى عن بكر بن عبد الرحمن قال:][(٣)] خرجنا مع ذي النون إلى البادية، فنزلنا تحت شجرة أم غيلان، فقلنا: ما أحسنَ هذا المكان لو كان في هذه الشجرة رُطَبٌ، فتبسَّم ذو النون، وأشار إليها فحملت رُطَباً، فأكلنا منه ونمنا، ثم انتبهنا فحرَّكناها، فتناثَر علينا الشوك[(٤)].

وقال نعمان بن موسى: اختصمَ اثنان، فكسرَ أحدُهما ثنيَّةَ الآخر، فتعلَّق به وقال: لا بدَّ من الوالي، فقيل لهما: ادخلا إلى ذي النون، فدخلا فأخذ السنَّ، وبلَّها بريقه، فتعلَّقت بإذن الله[(٥)].

وقال[(٦)] يوسف بن حسين الرازي: بلغَ المتوكِّلَ أنَّ ذا النون يتكلَّم في القدر، فكتبَ إلى عامر بن نصر أنْ يُشخِصَه إلى سامرَّاء مكبَّلاً بالحديد مقيَّداً، ففعلَ العامل ما أمره به، فلمَّا دخلَ سامرَّاء على تلك الحال والناسُ يبكون حوله، وهو يقول: هذا من مواهبِ الله وعطاياه، وكلُّ فعلٍ منه حسن، وينشد: [من الخفيف]

لكَ من قلبي المكانُ المصونُ ... كلُّ لومٍ عليَّ فيك[(٧)] يهون
لك عزمٌ[(٨)] بأن أكون قتيلاً ... فيك والصبرُ عنك ما لا يكون

(١) ما بين حاصرتين من (ب)، وفي (خ): وقال أحمد بن محمد السلمي.
(٢) مناقب الأبرار ١/ ٩٥، ومختصر تاريخ دمشق ٨/ ٢٤٩.
(٣) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ): وقال بكر بن عبد الرحمن، وفي مناقب الأبرار ١/ ٩٦: أبو بكر بن عبد الرحمن.
(٤) انظر الرسالة القشيرية ص٥٣٩-٥٤٠.
(٥) انظر تاريخ دمشق ٦/ ١٥١ (مخطوط).
(٦) من هنا إلى قوله: يرجعك الله سالماً. ليس في (ب).
(٧) في (خ): فيه. والمثبت من وفيات الأعيان ١/ ٣١٦، ومختصر تاريخ دمشق ٨/ ٢٥٠، وطبقات الأولياء ص٢٢٢.
(٨) في مختصر تاريخ دمشق: غُرْمٌ.

فأمر المتوكِّل بحبسه في المُطْبِق، ثمَّ لما دخل عليه قال له: بلغَني أنَّك تناظرُ في العظمة وتنافس في القدرة، وأنك قدريّ، فقال: يا أمير المؤمنين، ما لعقلٍ مولود، في جسمٍ مكدود، يتكلَّم في قدرة القادر المعبود، فرقَّ له المتوكل وقال: يا شيخ عظني، فقال: من أصلحَ سريرتَه أصلح الله علانيتَه، ومن أصلحَ ما بينه وبين الله أصلحَ ما بينه وبين الناس، فبكى المتوكِّلُ وعرضَ عليه مالاً، فلم يقبلهُ، وسألَه المقام[١] عنده، فأبى فردَّه إلى مصر مكرماً، وكان إذا ذُكر عنده أهلُ الورع يبكي ويقول: حيّ هلا بذي النُّون.

وقال ذو النون: من أراد أن يتعلَّم الظَّرفَ والمروءةَ، فعليه بُسقَاة الناس ببغداد، ومن أرادَ أن يسمعَ تجريد التوحيد وخالصَ التوكُّل، فعليه بالنساء الزَّمْنى ببغداد، قيل له: وكيف؟ قال: لمَّا حُمِلتُ إلى بغداد مرَّ بي على باب الطاق[٢] مقيداً، فمرَّ بي رجل متَّزِرٌ بمنديلٍ مصريّ، مُتَعمِّمٌ بمنديلٍ دَبِيقيٍّ، بيده كيزان خزف جدد رفاع، فقلت: هذا ساقي السلاطين؟ قالوا: لا، بل ساقي العامة، فأومأتُ إليه: أن اسقني، فجاء إليَّ وسقاني، فشَمِمْتُ من الكوز رائحةَ المسك، فقلت لمن معي: ادفع إليه ديناراً[٣]، فأعطاهُ ديناراً، فلم يأخذه، فقلت: لعلك استقللتَه، فقال: لا والله، ولكنَّك أسير، وليس من المروءة الأخذُ من أسير، فقلت: هذا قد كَمُل ظرفه.

فسمعتُ إنساناً من ورائي يقول: يا شيخ، فلم لم تتظرف[٤] عن الحال التي أوجبت فيك ما أرى؟ فالتفتُّ فإذا بامرأةٍ زَمِنةٍ في كوخٍ تتصدَّق، فقلت لها: أنا مظلوم، فقالت: إذا دخلتَ على هذا الرجل فلا تهبه، ولا ترَ أنَّه فوقك، فإنَّما أنتما مخلوقان من طينةٍ واحدة، وهو فقيرٌ إلى ما أنتَ إليه فقير، فلا تحتجَّ لنفسك محقّاً كنت أو متهماً، قلت: ولم؟ قالت: إن هبتَه سُلِّطَ عليك، وإن احتججتَ لنفسك زاد ذلك وبالاً؛ لأنك إن كنتَ متَّهماً تباهتُ الله فيما يعلمه منك، وإن كنتَ بريئاً فادعُ[٥] الله ينتصر لك، ولا

---

(١) إلى هنا نهاية الورقة الساقطة من (ف).

(٢) كذا في (خ) و(ف). وفي تاريخ بغداد ١/ ٣٥٣ ـ والقسم الأول من الخبر فيه ـ ومناقب الأبرار ١/ ١١٥: رُمي بي على باب السلطان.

(٣) في (خ) و(ف): إلي دينار. والمثبت من تاريخ بغداد ومناقب الأبرار.

(٤) كذا في (ف)، وفي (خ): تنطرف. وفي مناقب الأبرار ١/ ١١٥: تتصرَّف.

(٥) في (خ): فدع.

تنتصر لنفسك يكلك الله إليه.

فلمَّا دخلتُ على المتوكِّل سلَّمتُ عليه بالخلافة، فقال: ما تقول فيما قيل عنك؟ فسكتُّ، وقال وزيره: هو عندي حقيقٌ بما[١] قيل فيه، وقال المتوكِّل: لم لا تتكلم؟ فقلت: يا أمير المؤمنين إن قلت: لا، كذَّبتُ المسلمين فيما قالوا: وإن قلت: نعم، كَذَبْتُ على نفسي، فقال المتوكل: هذا رجلٌ بريءٌ ممَّا قيل فيه، فقال: عظني عافاك الله، فوعظتُه بكلماتٍ يسيرة، ثم خرجتُ فمررتُ على العجوز وهي في الكوخ، فقلت: جزاك الله خيراً، فقد امتثلتُ ما قلت لي، فمن أين لك هذا؟ قالت: من قصَّة الهدهد مع سليمان، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾[النمل: ٢٢]، ولم يهبه، فقلت لها: ادعي لي، فقالت: يرجعكَ الله سالماً[٢].

وقال عمرو السراج[٣]: سألت ذا النون كيف [كان] خلاصُك من المتوكِّل؟ فقال: لما أوصلني الخادم إلى الستر رفعه، وإذا بالمتوكِّل في غِلالَةٍ مكشوفَ الرأس، وعبيدُ الله قائمٌ على رأسه، متكئ على السيف، وعرفتُ في وجوه القوم الشرَّ [لي]، ففُتِحَ عليَّ بابٌ من الدعاء، فقام المتوكِّل، وخطا إلي خطواتٍ، ثم اعتنقني وقال: أتعبناكَ يا أبا الفيض، فإن شئت أقمتَ عندنا وإن شئت أن تنصرف، فاخترتُ الانصراف[، والله الحافظ][٤].

وقال أحمد بن مقاتل: لما قدم ذو النون بغداد بعد انفصاله من المتوكِّل، اجتمعَ عليه الصوفيَّة ومعهم قوَّال، فأنشد: [من مجزوء الوافر]

صغيرُ هواكَ عذَّبني ... فكيف به إذا احتَنكا
أما تَرثي لمكتئبٍ ... إذا ضحكَ الخليُّ بكى
وأنت جمعت من قلبي ... هوىً قد كان مُشْتَرَكا

فقام ذو النون وتواجد، فسقط على وجهه، وخرج الدم من جبهتِه، فقام رجلٌ من

(١) في (خ) و(ف): لما. والمثبت من مناقب الأبرار.
(٢) في مناقب الأبرار ١/ ١١٦: جعلك الله مسلماً.
(٣) قبلها في (ب): ودخل ذو النون على المتوكل، وكان قد وجه إليه المتوكل، فحمل إلى حضرته بسرَّ من رأى ـ وقيل: ببغداد ـ حتى سمع كلامه، واختلفت الروايات في سبب دخوله، فقال عمرو السراج...
(٤) ما بين حاصرتين من (ب). وانظر الخبر في تاريخ دمشق ٦/ ١٥٣.

القوم فتواجد، فقال له ذو النون: وهو ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾[الشعراء:٢١٨] فقعد الرجل[١].

وقال يوسف بن الحسين: أحضر الصوفيَّةُ طعاماً وأكلوا قبل السماع، فقال لهم ذو النون: إنَّ المقدحة إذا ابتلَّتْ لم تور ناراً[٢]. ومعناه: هلَّا كان هذا بعد السماع.

وقال ذو الكفل أخو ذو النون: كان في السماع مريدٌ لذي النون، ولم يكن ذو النون حاضراً، فأنشدَ القوَّالُ أبياتاً، فصاحَ مريدُ ذي النون ومات، وجاء ذو النون فرآه ميتاً[٣]، فقال: ما هذا؟ قيل له: إنَّ القوَّال غنَّى فمات، فقال للقوَّال: أعد الأبيات، فأعادها، فصاح ذو النون، فماتَ القوَّال، فقال ذو النون: النفسُ بالنفس والجروح قصاص.

[ذكر] نبذة من كلامه:

[روى عنه أبو نعيم أنه] قال: بصحبة الصالحين تطيب الحياة، والخير مجموعٌ في القرين الصالح، إن نسيتَ ذكَّرك، وإنْ ذكرتَ أعانك[٤].

وسأله رجلٌ: ما الذي أنصبَ العباد وأضناهم؟ فقال: ذكر المقام، وقلَّةُ الزاد، وخوفُ الحساب، ولم لا تذوبُ أبدانُهم، وتذهَلُ عقولُهم؟ والعرضُ على الله أمامَهم، وقراءةُ كتبهم بين أيديهم، والملائكة وقوفٌ بين يدي الجبَّار ينتظرون أمَره، فإمَّا إلى الجنَّة، وإمَّا إلى النار[٥].

وقال له رجل: متى تصحُّ عزلةُ الخلق؟ فقال: إذا قدرت على عزلةِ النفس[٦].

وقال يوسف بن الحسين الرازي: لما فارقتُ ذا النون قلت له: أوصني، فقال:

---

(١) انظر تاريخ بغداد ٩/ ٣٧٧، ومناقب الأبرار ١/ ٩٥.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٨/ ٢٤٦-٢٤٧.

(٣) في تاريخ بغداد ٩/ ٣٧٧، وتاريخ دمشق ٦/ ١٥١: فاتصل الخبر بذي النون، فدخل إلى بغداد، فقال: عليَّ بالقوال...

(٤) حلية الأولياء ٩/ ٣٥٩. وما بين حاصرتين من (ب).

(٥) حلية الأولياء ٩/ ٣٤٦، ومناقب الأبرار ١/ ٨٧، وصفة الصفوة ٤/ ٣١٦.

(٦) حلية الأولياء ٩/ ٣٦٨، وصفة الصفوة ٤/ ٣١٦.

عليك بصحبة الصالحين، ومن يذكرك اللهَ رؤيتُهُ، ويقع على باطنك عملُه، ويعظُك بلسانِ فعله لا بلسان قوله[١].

وقال ذو النون: ما خلعَ الله على عبدٍ خلعةً أحسن من العقل، ولا قلَّده قلادةً أجمل من العلم، ولا زيَّنه بزينةٍ أفضلَ من الحلم، وكمالُ ذلك كلِّه التقوى[٢].

وقال: إلهي لو سمعتُ موئلاً في الشدائد غيرك، أو ملجأً في النوازل سواك، لحقَّ لي أن لا أعرض وجهي؛ لقديم إحسانك إليَّ وحديثه، وظاهر منَّتك علي وباطنها، ولو قَطَّعني البلاءُ إرباً إرباً، وانصبَّت عليَّ الشدائدُ صبًّا، ليس لي مشتكىً غيرك ولا مفرِّجاً سواك، فيا وارثَ الأرض ومن عليها، وباعثَ جميع من فيها، ورِّث أملي فيك مني أملي، وبلغ همَّتي فيك منتهى وَسائلي[٣].

[وحكى عنه في «المناقب» عن إبراهيم البنا قال:][٤] صحبت ذا النون من إخميم إلى الإسكندرية، فلمَّا صرنا ببعض الطريق حضرَ وقتُ إفطاره، فأخرجَ مزوداً فيه سويق الشعير، فاستفَّ منه سفةً، وأخرجتُ قرصاً وملحاً كان معي، فنظرَ إليَّ وقال: ملحُك مدقوق؟ قلت: نعم، فقال: ليس تفلح، ثمَّ كان يتناولُ من مزودِه كلَّ ليلةٍ سفَّة، فكان هذا دأبَه إلى الإسكندرية، [قال:] فتقاصرت إليَّ نفسي، فلمَّا عزمَ على فراقي [قلت له: أوصني، فـ][٥] قال: عانقِ الفقرَ، وتوسَّد الصبرَ، وعادِ الشهوات، وخالف الهوى، وافزع إلى مولاك في أمورك كلِّها، فعند ذلك يورثُك الله الشكرَ والرضا والمحبّة والرجاء[٦].

وقال ذو النون: صحبني أسود في التيه، فكان إذا ذكرَ الله ابيضَّ لونُه، [فقلت له: ما هذا؟ فقال: لو ذكرتَهُ على الحقيقة لتغيَّر لونك، ثم قال:] [من الطويل]

---

(١) صفة الصفوة ٤/ ٣١٦. ومن قوله: وسأله رجل... إلى هنا ليس في (ب).

(٢) صفة الصفوة ٤/ ٣١٧.

(٣) صفة الصفوة ٤/ ٣١٧، وهذا القول ليس في (ب).

(٤) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ) و(ف): وقال إبراهيم البنا. وانظر مناقب الأبرار ١/ ١٠٥-١٠٦.

(٥) ما بين حاصرتين من (ب).

(٦) مناقب الأبرار ١/ ١٠٥-١٠٦.

ذكرنا فما كنَّا لننسى فنذكر ولكن نسيمُ القربِ يبدو فيزهرُ
فأفنى به عنه وأبقى له به إذ الحقُّ عنه مخبرٌ ومعبِّرُ[١]

وقال[٢] محمد بن أحمد النيسابوري: احذر أن تنقطع عنه فتكونَ مخدوعاً، قلت: فكيف ذاك؟ قال: لأنَّ المخدوع من ينظرُ إلى عطاياه، [فينقطع عن النظر إليه بالنظر إلى عطاياه][٣]، ثم قال: تعلَّق الناسُ بالأسباب، وتعلَّقَ الصديقون بترك[٤] الأسباب، ومن علامة تعلُّقهم بالعطايا طلبُهم منه العطايا، ومن علامة تعلُّق قلوب الصديقين بوليِّ[٥] العطايا انصبابُ العطَايا عليهم، وشغلُهم به عنها، ثم قال: ليكن اعتمادُك على الله في الحال، لا على الحال [مع الله][٦]، واعقل من هذا صفوةَ التوحيد.

وقال ذو النون: من ذكر الله على حقيقةٍ نسيَ في جنبه كلَّ شيء، حتى حفظ الله عليه كلَّ شيء، وكان له عوضاً من كلِّ شيء[٧].

وقال: أكثرُ الناسِ إشارةً إلى الله في الظاهر أبعدُهم عنه[٨].

وكان [ذو النون] يقول: إلهي إن كان صَغُرَ في جنبِ طاعتِك عملي، فقد كَبُرَ في جنبِ رجائِك أملي[٩].

وسُئِل عن الآفة التي يُخدَع بها المريد عن الله تعالى، فقال: رؤيةُ الكرامات، قيل: فبم يُخدَع قبل وصوله إلى هذه الدرجة؟ قال: بوطء الأعقاب وتعظيم الناس له.

---

(١) مناقب الأبرار ١/ ١٠٧.
(٢) من هنا إلى قوله: أبعدهم عنه. ليس في (ب).
(٣) ما بين حاصرتين من حلية الأولياء ٩/ ٣٥١، وصفة الصفوة ٤/ ٣١٨.
(٤) في الحلية وصفة الصفوة: بوليّ.
(٥) في (خ) و(ف): تغير! والمثبت من الحلية وصفة الصفوة.
(٦) ما بين حاصرتين من صفة الصفوة وحلية الأولياء.
(٧) نص العبارة ـ كما في صفة الصفوة ٤/ ٣١٨ : من ذكر الله على حقيقة نسي في جنبه كل شيء، ومن نسي في جنب الله كل شيء حفظ الله عز وجل عليه كل شيء، وكان له عوضاً من كل شيء. وأخرجها البيهقي في شعب الإيمان (٧٠٧).
(٨) حلية الأولياء ٩/ ٣٥٣، وشعب الإيمان (٦٩١٧).
(٩) حلية الأولياء ٩/ ٣٨٥، وصفة الصفوة ٤/ ٣١٨.

وقال: من ذبح حنجرةَ الطمع بسكين اليأس، ورَدم خندقَ الحرص، ظَفِر بكيمياء السعادة[١]، ومن استقَى بحبل الزُّهد من بئر الحكمة سقَى رياضَ التقوى، ومن سلك أودية الكمد عاش حياة الأبد، ومن حصدَ عشبَ الذُّنوب بمنجلِ الورع أضاءت له روضة الاستقامة، ومن قطعَ لسان الفضول بشفرة الصمت وجدَ عذوبة الراحة[٢]، ومن تدرَّع بدرع الصدق قويَ على مجاهدة عسكر الباطل، ومن فرحَ بمدح الجاهل ألبسَهُ الشيطانُ ثوبَ الحماقة[٣].

[وحكى أبو نعيم أيضاً عن سعيد بن عثمان قال: سمعت ذا النون يقول:] ما طابتِ الدنيا إلَّا بذكره، ولا الآخرةُ إلَّا بعفوه، ولا الجنةُ إلَّا برؤيته[٤].

وقال: ما أعزَّ الله عبداً بعزٍّ هو أعزُّ له من أنْ يدلَّه على ذلِّ نفسه، وما أذلَّ الله عبداً بذلٍّ هو أذل له من أن يحجبه عن ذلِّ نفسه[٥]. ومن تطأطأ لقيَ رطباً، ومن تعالَى لقي عطَباً[٦].

وقال: لا تثقنَّ بمودَّة من لا يحبُّك إلَّا معصوماً[٧].

وقال: من صحبك ووافقك على ما تحبّ وخالفَك فيما تكره، فإنَّما يصحبُ هواه، ومن صحبَ هواه، فإنَّما يصحبُ راحةَ نفسه[٨].

وقال: كلُّ مطيعٍ مستأنس، وكلُّ عاصٍ مستوحش، وكلُّ محبٍّ ذليل، وكلُّ خائفٍ هارب، وكلُّ راجٍ طالب[٩].

(١) في صفة الصفوة ٤/ ٣١٨ : ظفر بكيمياء الخدمة.

(٢) من قوله: وسئل عن الآفة ... إلى هنا ليس في (ب).

(٣) انظر حلية الأولياء ٩/ ٣٨٠.

(٤) حلية الأولياء ٩/ ٣٧٢ ، وصفة الصفوة ٤/ ٣١٩. وما بين حاصرتين من (ب).

(٥) حلية الأولياء ٩/ ٣٧٤ ، وصفة الصفوة ٤/ ٣١٩ ، وتاريخ دمشق ٦/ ١٥٥ (مخطوط) ، ومختصر تاريخ دمشق ٨/ ٢٥١.

(٦) حلية الأولياء ٩/ ٣٧٦ ، وصفة الصفوة ٤/ ٣١٩.

(٧) حلية الأولياء ٩/ ٣٧٦.

(٨) في حلية الأولياء ٩/ ٣٧٦ ، وصفة الصفوة ٤/ ٣١٩ : فإنما هو طالب راحة الدنيا.

(٩) حلية الأولياء ٩/ ٣٧٦ ، وصفة الصفوة ٤/ ٣١٩. ومن قوله: وقال: ما أعز الله عبداً... إلى هنا ليس في (ب).

[وروى أبو نعيم أيضاً عن محمد بن خلف المؤدِّب قال:][(١)] رأيتُ ذا النون على ساحل البحر، فلمَّا جنَّ الليلُ نظر إلى السماء والماء، ثم قال: ما أعظمَ شأنكما[(٢)]، بل شأنُ الله أعظم منكما، فلمَّا تهوَّرَ الليلُ أنشد: [من مجزوء الخفيف]

اطلبوا لأنفسِكم ... مثلمَا طلبتُ أنا
قد وجدتُ لي سكناً ... ليس في هواه عنا
إن بعدت قرَّبني ... أو قربتُ منه دَنا

وما زال يردِّدُها إلى الصباح[(٣)].

وقال: دوام الفقر إلى الله مع التخليط أحبُّ إليَّ من دوام الصفاء مع العُجْب[(٤)].

وكان يقول: إلهي، أنا عبدك مفتقر، وأنتَ مليكٌ مقتدر، أسألُكَ العفوَ تذلُّلاً، فأعطنيه تفضُّلاً[(٥)].

وقال: إياك أن تكون بالمعرفة مُدَّعيًا، وبالزهدِ محترفاً، وبالعبادة متعلِّقاً[(٦)].

[قال:] وقال [ذو النون:] قال الله تعالى في بعض كتبه: من كان لي مطيعاً كنتُ له وليًّا، فليثق بي، وليحكم عليّ، فوعزَّتي لو سألني زوال الدنيا لأزلتُها له[(٧)].

وقال: الصوفيُّ من إذا نطقَ أبان نطقُه عن الحقائق، وإذا سكتَ نطقتْ عنه الجوارحُ بقطعِ العلائق[(٨)].

وقال: من أرادَ التواضع فليوجِّه نفسَه إلى عظمة الله تعالى، فإنَّها تذوب وتصفو[(٩)]،

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ) و(ف): وقال محمد بن خلف المؤدب.
(٢) في (ب): سبحان من أعظم شأنكما.
(٣) حلية الأولياء ٩/ ٣٤٤.
(٤) صفة الصفوة ٤/ ٣١٩.
(٥) حلية الأولياء ٩/ ٣٨٤، وصفة الصفوة ٤/ ٣١٩.
(٦) طبقات الصوفية ص١٨، وحلية الأولياء ٩/ ٣٥٠. ومن قوله: دوام الفقر ... إلى هنا ليس في (ب).
(٧) طبقات الصوفية ص١٩، وحلية الأولياء ٩/ ٣٩٤. وما بين حاصرتين من (ب).
(٨) طبقات الصوفية ص١٩.
(٩) من قوله: وقال: الصوفي... إلى هنا ليس في (ب).

ومن نظرَ إلى سلطان الله تعالى ذهبَ سلطانُ نفسه؛ لأنَّ النفوسَ كلَّها مضمحلَّةٌ عند هيبتِه[١].

وقال: كلُّ مُدَّعٍ محجوبٌ بدعواه عن شهودِ الحقّ؛ لأنَّ الحقَّ شاهدٌ لأهل الحقّ، والله تعالى هو الحقّ، وقوله الحقّ، فلا يحتاج يدَّعي إذا كانَ الحقُّ شاهداً له، وأمَّا إذا كان غائباً فحينئذٍ يدَّعي؛ لأنَّ الدعوى إنَّما تقع للمحجوبين[٢].

وقال: من أنِسَ بالخلقِ فقد استمكنَ من بساطِ الفراعنة، ومن غُيِّبَ عن ملاحظة نفسه فقد استمكن من الإخلاص، ومن كان حظُّه من الأشياء «هو»، لا يبالي ما فاتَه مما دونه[٣].

وقال: سبحانَ من حجبَ أهل المعرفة عن جميع خلقه؛ حجبَهم عن أبناء الدنيا بأستار الآخرة، وعن أبناء الآخرة بأستار الدنيا[٤].

وسُئل عن السَّفِلَة فقال: هو الذي لا يعرفُ الله ولا يتعرَّف إليه[٥].

[قال:] وقال: توبةُ العوامِّ من الذنوب، وتوبة الخواص من الغفلة[٦].

ومن قَنَعَ استطالَ على أقرانه، واستراحَ من أهلِ زمانه[٧].

وسئل[٨] عن الأنس بالله فقال: علامته أن يوحشَك من خلقه، فإذا رأيتَه قد أوحشَك من خلقه، فاعلم أنَّه قد آنسكَ به، وإذا رأيتَه يؤنسُك بخلقه، فاعلم أنَّه قد أوحشك من نفسه[٩].

---

(١) طبقات الصوفية ص٢٠ .

(٢) طبقات الصوفية ص٢٢ .

(٣) طبقات الصوفية ص٢٢، ومناقب الأبرار ١/ ٨٤ .

(٤) من قوله: وقال: كل مدع...إلى هنا ليس في (ب) .

(٥) نص العبارة في تاريخ دمشق ٦/ ١٦٣ (مخطوط) : من لا يعرف الطريق إلى الله ولا يتعرف.

(٦) الرسالة القشيرية ص٥٨ .

(٧) الرسالة القشيرية ص٢٦٦ .

(٨) من هنا إلى قوله: وحكي عنه في المناقب. ليس في (ب) .

(٩) حلية الأولياء ٩/ ٣٤٣ ، ٣٧٧ .

وقال: الدنيا أمةُ الله، والخلقُ عبيدُه، خلقَهم لطاعته، وضمنَ لهم أرزاقهم، ونهاهم عن أمته، فحرصوا عليها، وطلبُوا الأرزاقَ، وقد تكفَّل لهم بها، فلا هم على أمته قَدَرُوا، ولا في أرزاقهم استزادُوا[١].

وقال: أوحى اللهُ إلى موسى عليه السلام: يا موسى، كن كالطَّير الوحدانيّ، يأكلُ من رؤوس الشجر، ويشرب من الماء القُرَاح، وإذا جَنَّهُ الليلُ أوى إلى كهفٍ من الكهوف؛ استئناساً بي، واستيحاشاً ممَّن عصاني، يا موسى، إنِّي آليتُ أن لا أتمم لمدبرٍ عنِّي عملاً، ولأقطعنَّ أملَ كل من يؤمِّلُ غيري، ولأقصمنَّ ظهرَ من استندَ إلى سواي، ولأطيلنَّ وحشة من استأنس بغيري، يا موسى، إنَّ لي عباداً إن ناجَوني أصغيتُ إليهم، وإن نادوني أجبتهم، وإن قربوا مني قرَّبتُهم، وإن والوني واليتُهم، وإن عملوا إليَّ جازيتُهم، يا موسى، أنا مدبرُ أمورهم، وسائسُ قلوبهم، ومتولي أحوالهم[٢].

وقال: رَكَضَتْ أرواحُ الأنبياء في ميادين المعارف، وسبقت روحُ سيِّدنا محمد ﷺ إلى روضة الوصال[٣].

وقال: معاشرةُ العارف كمعاشرة الله تعالى، يحتملك، ويحلمُ عنك؛ تخلُّقاً بأخلاق الله تعالى[٤].

وسُئِل عن السماع فقال: وارد حقٍّ يزعجُ القلوبَ إلى الحقّ، فمن أصغَى إليه بحقٍّ تحقَّق، ومن أصغى إليه بباطلٍ[٥] تزندق.

[وحكي عنه في «المناقب» عن محمد بن يزيد التميمي قال:] كنتُ مارًّا مع ذي النون وإذا بشابٍّ يبني داراً، وهو يأمرُ وينهى، فوقفَ عليه ذو النون وقال: أيُّها المغرورُ بدارِ الغرور، واللاهي عن دار البقاء والسرور، لم لا تشتري من مولاك داراً يقالُ لها

(١) حلية الأولياء ٩/ ٣٧٧، ومناقب الأبرار ١/ ٩٠.
(٢) حلية الأولياء ٩/ ٣٧٩، ومناقب الأبرار ١/ ٩٠-٩١.
(٣) الرسالة القشيرية ص٤٧٤.
(٤) حلية الأولياء ٩/ ٣٥١، ٣٧٦.
(٥) في الرسالة القشيرية ص٥٠٨: بنفسٍ.

دار الأمان، لا يضيقُ بها السكان، ولا يزعج[١] منها القطّان، ولا تشعثها[٢] حوادثُ الزمان، ولا تحتاجُ إلى بنّاءٍ وطيّان، فقال له الشاب: يا أستاذ، لكلِّ دارٍ حدّ، فما حدود هذه الدار؟ فقال: [لها] أربعُ حدود؛ الحدُّ الأول ينتهي إلى منازل الراجين[٣]، والحدُّ الثاني إلى مواطن الخائفين، والثالث إلى أماكن المحبِّين، والرابع إلى جوار[٤] الفائزين، وتشرعُ مَشارعُ هذه الدار إلى خيامٍ مضروبة، وقبابٍ منصوبة على شاطئ أنهار الفردوس وجنات النعيم في ميادين الشوق[٥]، وفيها سررٌ منصوبةٌ، وفرشٌ ممهودةٌ، في كثبان المسك والزعفران، قد عانقوا خيراتٍ حسان، فقال الشاب: ما ثمنها؟ قال: تكتب [في صكِّ اليقين:] هذا ما اشترى عبدٌ محبورٌ من الملك الغَفُور، اشترى منه هذه الدار بالتنقُّل من ذلِّ المعصيةِ إلى عزِّ الطاعة، ومن الحرص إلى القناعة، فما أدرك هذا المشتري من دركٍ فبنقضِه للعهود، ومخالفته للمعبود. [وذكر في «المناقب» كلاماً طويلاً. والله أعلم بالصواب][٦].

وقال[٧] الفتحُ بن شُخْرف: كان سعدون المجنون صاحب محبَّةٍ لله تعالى ولهجٍ بالقول، من صام سنين[٨] حتى نشفَ دماغُه، وسمَّاه الناس مجنوناً؛ لتردُّدِ قوله في المحبَّة، فبينا أنا واقفٌ ذات يومٍ بالفسطاط إذا به قد أقبلَ، فوقفَ على حلقة ذي النون، وعليه جبَّةُ صوف، عليها مكتوب: لا تُباعُ ولا تُشترى، وذو النون يتكلَّم في علم الباطن، فناداه سعدون: يا أبا الفيض، متى يكون القلب أميراً بعدما كان أسيراً؟ فقال له: إذا اطَّلعَ الخبيرُ على الضمير، فلم ير فيه إلَّا حبَّ الجليل القدير. فصرخَ سعدون، وخرَّ مغشياً عليه، ثم أفاق وقال: [من الطويل]

---

(١) في (ب): ولا يفزع.

(٢) في (ب): ولا تشنعها، وفي مناقب الأبرار ١/ ١١٦: ولا يسكنها.

(٣) في (خ) و(ف): الراضين. والمثبت من (ب) ومناقب الأبرار ١/ ١١٦.

(٤) في (ب): منازل.

(٥) في مناقب الأبرار: في ميادين قد أشرقت.

(٦) ما بين حاصرتين من (ب)، وانظر الكلام بنحوه في مناقب الأبرار ١/ ١١٦.

(٧) من هنا إلى قوله: ذكر وفاته. ليس في (ب).

(٨) في حلية الأولياء ٩/ ٣٧١، ومناقب الأبرار ١/ ٩٧-٩٨: صام ستين سنة.

ولا خيرَ في الشَّكوى إلى غير مشتكى ولا بدَّ من شكوى إذا لم يكن صبرُ

ثم ناداه: يا أبا الفيض، أَمِنَ القلوب قلوبٌ تستغفرُ قبلَ أن تذنب؟ قال: نعم، وتلك القلوب تثابُ قبل أن تطيع، فقال سعدون: بيِّن ما تقول، فقال: نعم تلك القلوبُ أشرقت بمصابيح اليقين، ففاضت عليها أنوارُ الحقِّ سبحانه، فكشفَ لها عن حقائق الأمور، أنِسَت بمحبوبها، فاستوحشَتْ بمن سواه، فصاح سعدون، وولَّى هارباً.

وقال ذو النون: وُصِفَ لي عابدٌ بالمغرب، فقصدتُه وأقمتُ على بابه أربعين يوماً، وهو يخرجُ إلى الصلاة، ويعودُ إلى منزله، ولا يكلِّم أحداً، فقلت له بعد الأربعين: يا هذا، إنِّي أتيتُك من بلادٍ بعيدة، ولي واقفٌ على بابك أربعين يوماً، ما كلَّمتني كلمة، فقال: يا هذا إنَّ لساني سبُع، إن أطلقتُه قتلني، فقلت: أوصني وصيةً أنتفعُ بها، قال: لا تحب الدنيا، وعدَّ الفقرَ غنى، والبلاءَ نعمةً، والمنعَ عطاءً، والوحدةَ أنساً، والذلَّ عزًّا، والحياةَ موتاً، والتوكُّلَ معاشاً، واللهَ تعالى في كلِّ شيءٍ عُدَّةً، فقلت: فما وصف العارف[1]؟ قال: قوتُه ما وجد، ومنزلُه حيث أدرك، ولباسه ما سترَ، الخلوةُ مجلسُه، والقرآنُ أنيسُه، والحقُّ سبحانَه جليسُه، والذكرُ رفيقُه، والزهدُ قرينُه، والخوفُ محجَّتُه، والشوقُ راحلتُه، والصبرُ وسادُه، والحكمةُ كلامُه، والصديقون إخوانُه، والعقلُ دليلُه، والحلمُ خليله، والله تعالى عونه.

وكان ذو النون ينشد: [من الكامل]

عجباً لقلبكَ كيف لا يتصدَّعُ ولركن جسمِك كيفَ لا يتَضَعْضَعُ
فاكحل بمُلْمُول[2] السُّهادِ لدى الدُّجى إنْ كنتَ تفهمُ ما أقولُ وتسمعُ
منعَ القرانُ بوعده ووعيدِه نومَ العيون فليتَها ما تهجعُ

وأنشد أيضاً: [من الطويل]

يجولُ الغنى والعزُّ في كلِّ موطنٍ ليستوطنَا قلبَ امرئٍ إن توكَّلَا
ومن يتوكَّل كان مولاه حسبَه وكان له فيما يحاولُ معقلَا

(١) في مناقب الأبرار ١/ ١١٤ أنه مكث شهراً، ثم سأله أن يزيده من الموعظة.

(٢) في (خ) و(ف) ومناقب الأبرار ١/ ٩٠: بملول. والمثبت من حلية الأولياء ٩/ ٣٧٧، والمُلْمُول: الميلُ الذي يُكْتحَل به. مختار الصحاح (ملل).

إذا رضِيت نفسي بمقدور حظِّها تعالتْ فكانت أرفعَ الناس منزلَا[١]

وأنشدَ أيضاً: [من الخفيف]

قد بقينا مذبذبينَ حيارى نطلب الصدق ما إليه سبيلُ
فدعاوى[٢] الهوى تَخِفُّ علينا وخلافُ الهوى علينا ثقيلُ

ذكر وفاته:

قال الفتح بن شُخْرف: دخلتُ على ذي النون عندَ موته، فقلت له: كيف تجدك؟

فقال: [من الطويل]

أموتُ وما ماتتْ إليكَ صبابتي ولا رَويت من صدقِ حبِّكَ أوطارِي
مناي المُنى كلُّ المنى أنتَ لي مُنى وأنت الغنى [كلُّ الغنى] عند إقتاري[٣]
تضمَّن قلبي منك مالك قد بَدا وإن طال سرِّي فيك أو طالَ إظهارِي
وبينَ ضلوعي منكَ ما لا أَبُثُّهُ ولم أكُ مبديهِ لأهلٍ ولا جارِ
سرائرُ لا يخفى عليكَ خفيُّها وإن لم أبح حتى التنادي بأسرارِي
فهب [لي] نسيماً منك أَحْيَى بروحِه وجُد لي بيسرٍ منك يطردُ إعساري
أنرت الهدى للمهتدين ولم يكن[٤] من العلمِ في أيديهم عشرُ معشار
وعلَّمتهم علماً فآبوا بنورِه وبانتْ لهم منه معالمُ أنوارِ[٥]
معاينةً للغيب حتى كأنَّها لما غابَ عنها منه حاضرةُ الدارِ
فأبصارُهم محجوبةٌ وقلوبُهم تَرَاكَ بأوهامٍ حديدةِ أبصارِ
جمعتَ لها الهمَّ المفرَّق والتُّقى على قَدَرٍ والهمُّ يجري بمقدارِ
ألستَ دليلَ الركب إن هم تحيَّروا وعصمةَ من أمسى على جُرُفٍ هارِ

---

(١) مناقب الأبرار ١/ ٩٣، وذكر أبو نعيم في حلية الأولياء ٩/ ٣٧٢ البيتين الأولين، وفيه ٦/ ٣٠٦ البيت الثالث.

(٢) كذا في (خ) ومناقب الأبرار ١/ ١١٨، والبيت ساقط من (ف). وفي تاريخ دمشق ٦/ ٤١١ (مخطوط)، وطبقات الأولياء ص٢٢٤: فدواعي.

(٣) في (خ) و(ف) بياض، وفوقه: كذا. والمثبت بين حاصرتين من المصادر.

(٤) في (خ) و(ف): أنور الهدى للمهتدين ولم أكن. و المثبت من المصادر.

(٥) في المصادر: أسرار.

قال الفتح: فلمَّا ثقل قلت له: كيف تجدك؟ فقال:

ومالي سوى الإطراقِ والصمت حيلةٌ ... ووضعي على خدِّي يدي عندَ تذكارِي
وإن طرقتني عَبرةٌ بعد عَبرةٍ ... تجرَّعتُها حتى إذا عِيلَ تصباري
أفضتُ دموعاً جمَّةً مستهِلَّةً ... أُطَفِّي بها حرًّا تضمَّن إضماري[1]
فيا مُنتهَى سؤلِ المحبِّين كلِّهم ... أبحني محلَّ الأُنسِ مع كلِّ زواري
ولستُ أبالي فائتاً بعد فائتٍ ... إذا كنتَ في الدارين يا واحداً جاري[2]

[ذكر وفاته:

واختلفوا في وفاته، فقال الخطيب: عن حيَّان بن أحمد السهمّي قال:][3] ماتَ ذو النون بالجيزة، وحُمِل في مركبٍ حتى عدي به إلى الفُسطاط خوفاً عليه من زحمة الناس على الجسر، ودُفن في مقابر أهل المَعافر، وذلك [في] يوم الإثنين لليلتين خلتا من ذي القعدة [من سنة ستٍّ وأربعين ومئتين][4].

[وحكى عنه محمد بن زبَّان الحضرمي قال:][5] كنتُ واقفاً على كوم بالمعافر يوم مات [ذو النون]، فلمَّا أخرج [من القارب]، وحُمِلَ على أعناق الرجال، جاءت طيورٌ خضرٌ فاكتنفت الجنازةَ تُرفرفُ عليها، فلمَّا دُفن غابت في الأرض، فقال الحسن بن يحيى بن هلال:

ورأيتُ أعجبَ ما رأيتُ ولم أكن ... من قبل ذاك رأيتُه لمُشَيَّعِ
طيرٌ تُرَفْرِفُ فوقَه وتَحُفُّه ... حتى توارَى في حجابِ المضجعِ
وأظنُّها رسلَ الإله تنزَّلت ... ـ والله أعلمُ ـ فوق ذاك الشرجعِ[6]

---

(١) كذا في (خ) و(ف) وفي المصادر: أسراري.

(٢) تاريخ دمشق ٦/ ١٧٠ (مخطوط)، وصفة الصفوة ٤/ ٣٢٠-٣٢١. ومن قوله: قال الفتح بن شخرف إلى هنا ليس في (ب).

(٣) ما بين حاصرتين من (ب)، وفي (خ) و(ف): وقال حسان بن أحمد الريمي.

(٤) تاريخ بغداد ٩/ ٣٧٨ وما بين حاصرتين من (ب)، وفي (خ) و(ف): هذه السنة.

(٥) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ) و(ف): وقال محمد بن زبان الحضرمي.

(٦) من قوله: فقال الحسن... إلى آخر الأبيات. ليس في (ب)، وما سلف بين حاصرتين منها. والشرجع: الجنازة. القاموس (شرجع).

وقيل: إنَّ مثلَ هذه الطيور رُؤي في جنازةِ أبي إبراهيم المزنيّ، وإنَّ الحسنَ قال هذه الأبيات في ذلك اليوم[١].

وقال أبو عبد الرحمن السُّلَميُّ: كان أهلُ مصر يقدحون في ذي النون لمَا كان يبدو منه من علوم المكاشفات، فلمَّا ماتَ وأظلَّتِ الطيور جنازته أكرموا بعد ذلك قبرَه.

[قال:] ولما دفن أصبحَ الناس فرأوا مكتوباً على قبره: ماتَ ذو النون حبيبُ الله، مات من الشوق إلى الله[٢].

وقال أبو سعيد بن يونس [في «تاريخ مصر»]: مات [ذو النون] سنة خمسٍ وأربعين ومئتين[٣]، وقيل: [في] سنة ثمانٍ وأربعين ومئتين.

أسند ذو النون عن جماعة [من الأئمة]، منهم مالك بن أنس، والليث بن سعد، وسفيان بن عُيينة، والفُضيل بن عياض، [وعبد الله بن لَهِيعة قاضي مصر، ورشدين بن سعد، ومروان بن محمد الفزاري] وغيرهم.

وروى عنه يوسف بن الحسين الرازي، والجنيد بن محمد، ومشايخُ العراق.

وقال الخطيب: أسندَ عن ذي النون جماعةٌ أحاديثَ غير ثابتة، والحملُ فيها على من دونه[٤].

وصحبه عدَّة من المشايخ، منهم أبو عبد الله بن الجلَّاء، وحكى عنه قال: جاورتُ مع ذي النون بمكَّة، فبقينا أياماً لم نأكل شيئاً، فقام ذو النون وصعدَ أبا قُبَيس وأنا خلفه، فرأيتُ في الوادي قشرَ موز، فأخذتُ منه ووضعتُه في كمِّي، وجعلتُ آكلُ منه، وأسارقُ ذا النون النظر، فلمَّا صعدنا إلى الجبل قال: ارمِ ما معك، فخجلتُ ورميتُه، فلمَّا عدنا إلى الحرم إذا برجلٍ قد أقبل ومعه طعام، فوضعَه بين يدي ذي النون، فقال: دعه قدَّام ذاك، فتركه قدامي، فقلت لذي النون: ما تأكل؟! فقال: يأكلُ من طَلَبَ، ولم يأكل ذو النون[٥].

---

(١) من قوله: وإن الحسن قال... إلى هنا ليس في (ب).

(٢) تاريخ دمشق ٦/ ١٤٨ (مخطوط).

(٣) ورجحه الذهبي في سير أعلام النبلاء ١١/ ٥٣٦، وتاريخ الإسلام ٥/ ١١٣٩.

(٤) من قوله: وقال الخطيب أسند... إلى هنا. ليس في (ب).

(٥) تاريخ بغداد ٦/ ٤٦٠، ومناقب الأبرار ١/ ١٠٤.

وقال محمد بن الحسن الجوهري: قلت لذي النون: حَدِّثني بحديثٍ لَعَلِّي أنتفعُ به في الرقائق، يكون عوناً لي على هذا المذهب، فقال: للحديث رجال، ولي شغلٌ بنفسي عن الحديث، وإن كان الحديثُ من أركان الدين، ولولا نقصٌ دخلَ على أهل الحديث والفقه لكانوا أفضلَ الناس، ولكن بذلُوا علمَهم لأهل الدنيا، فحجبُوهم وتكبَّروا عليهم، وجعلوهم خَولاً، وافتتنوا بالدنيا لمَّا رأوا حرص أهل العلم عليها[١] والخوض فيها، وأنَّهم جعلوا العلم فخًّا لصيدِهم، ولو أنَّهم لزمُوا بابَ ربِّهم لكفَاهم وأعزَّهم، ولكنَّهم انقطعُوا إلى المخلوقين، فوكِلُوا إليهم[٢].

وقال أبو الحارث الأولاسي: قصدتُ مصر لأسألَ ذا النون عن مسائل، فوافيتُه قد مات، فجئتُ إلى قبره فصلَّيت ركعتين عنده ونمتُ، فرأيتُه في المنام، فقلت: يا أبا الفيض، إنَّما قصدتُك لأجل مسائل، فقال: سل، فسألتُه، فأجابني عن الجميع[٣]. [انتهت ترجمة ذي النون، والحمد لله][٤].

سليمان بن أبي شيخ

أبو تراب الوَاسطيّ

سكن بغداد، وكان عالماً بالأنسابِ والتواريخ وأيَّامِ النَّاسِ ووقائعهم.

سمع سفيان بن عيينة وغيره، وروى عنه إبراهيم الحربيّ وغيره، وكان ثقةً، وتوفي عن خمسٍ وتسعين سنة[٥].

شُجَاع[٦] أمُّ المتوكِّل

وتُدعى السيِّدة، وكانت صالحةً كثيرةَ الصدقات والمعروف، من أكثر النساء ديناً

(١) في (خ) و(ف): حرص الدنيا عليها. والتصويب من مناقب الأبرار ١/ ١٠٩، وانظر الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٦١.

(٢) من قوله: وقال محمد بن الحسن... إلى هنا. ليس في (ب).

(٣) مناقب الأبرار ١/ ١٠٣.

(٤) ما بين حاصرتين من (ب).

(٥) تاريخ بغداد ١٠/ ٦٧، والمنتظم ١١/ ٣٤٦، وتاريخ الإسلام ٥/ ١١٤٨. وهذه الترجمة ليست في (ب).

(٦) ترجمة شجاع بطولها لم ترد في (ب).

وعفَّةً وكرماً.

وكانت تُخرجُ صدقات السرِّ على يدِ كاتبها أحمد بن الخَصيب، قال: بينا أنا ذات يوم جالسٌ في الديوان، إذ خرجَ خادمٌ ومعه كيس وقال: السيدةُ تقول لك: خذ هذه الألف دينار من طيِّبِ مالها، وادفعهَا إلى قومٍ مستحقِّين، واكتب أسماءَهم وأنسابَهم ومنازلهم، وكلَّما جاءَ من هذه الناحية شيءٌ صرفناه إليهم، فأخذتُ الكيس، [وصرتُ إلى منزلي، ووجَّهتُ خلف من أثقُ به، فعرَّفتُهم ما أمرتُ به][1]، وسألتُهم أن يُسمُّوا لي من يعرفون من أهل الحاجة، فسموا لي جماعةً، ففرَّقتُ فيهم ثلاثَ مئة دينار، وجاءَ الليل وبقيَّةُ المال بين يدي، لعلِّي أصيبُ مستحقًّا، وأنا أفكر في سامرَّاء وبعد أقطارها، وتكاتف أهلها، ليس بها مستحقّ، ومضَى من الليل ساعة، وغُلِّقتِ الدروب، وطاف العسس، وإذا بالباب يدقُّ، فقلتُ للغلام: انظر من هذا، فخرج وعاد وقال: فلان العلويّ يستأذنُ عليك، وعندي بعض حرمي، فقلت: كونوا وراء هذا الستر، فما قَصَدَنا هذا الرجلُ في هذا الوقت إلَّا لحاجة، فلمَّا دخل سلّم وجلس، فسألتُه عن حاله، فقال: طرقني في هذا الوقت طارقٌ لرسول الله ﷺ به اتصال، والله وما عندنا شيء، ولم يكن في جواري من أفزعُ إليه سواك، فدفعتُ إليه ديناراً، فأخذَه وشكر وانصرف، فخرجَتْ ربَّةُ البيت فقالت: يا هذا، تدفعُ إليك السيدة ألفَ دينار تفرِّقُها إلى مستحقّ، فمن ترى أحق من ابن رسول الله ﷺ مع ما شكاه[2] إليك، فقلت: فما أصنع؟ فقالت: ادفع إليه الكيس كلَّه، فقلتُ: يا غلام رُدَّه، فرَدَّه، فحدَّثتُه الحديث، ودفعتُ إليه الكيس، فأخذه وانصرف، فلمَّا ولَّى عني جاءني إبليس وقال: المتوكِّلُ وانحرافه عن أهل البيت، تدفع إليك أمُّه ألفَ دينارٍ لتدفعَها إلى أقوامٍ تُكتَب أسماؤهم وأنسابُهم ومنازلُهم، تعطي واحداً سبعَ مئة دينار، فبماذا تحتجّ، وأيُّ عذرٍ لك؟ فقلت لربة المنزل: أوقعتيني فيما أكره، وعرَّفتُها ما خطر ببالي، فقالت: اتَّكل على جدِّهم،

(١) ما بين حاصرتين من المنتظم ١١/ ٣٤٧.

(٢) في (خ) و(ف): مع شفاه، والمثبت من المنتظم.

وجعلت تردِّدُ[١] القول، وقمتُ إلى فراشي فما أخذني النوم، فلمَّا كان بعد ساعة إذا البابُ يُدَقّ، فقلت للغلام: اخرج، فخرج وعاد وقال: رسولُ السيِّدة يأمرُك بالركوب الساعة، وجاء آخر وآخر، فقلت: جاءني ما كنتُ أحذر، فركبتُ والليل قد تهوَّر[٢]، فأدخلني الخدمُ إلى الستر وقالوا: السيدة تسمع كلامك، فأجبها، فقالت: يا أحمد، أحساب ألف دينار أم سبع مئة دينار؟ وهي تبكي، فقلت في نفسي: بليَّة العلوي، أخذَ المال، ومضى إلى السوق اشترى ما يحتاج إليه، وفتح الدكاكين، فكتبَ أصحابُ الأخبار إلى المتوكِّل، وقد أمر بقتلي، وهي تبكي رحمةً لي، ثمَّ كررت القول وسألتني عن الحساب، فحدَّثتُها حديثَ العلويّ، فبكت وقالت: يا أحمد، جزاكَ الله خيراً، وجزى من في منزلك خيراً، تدري ما كان من خبري الليلة ؟ قلت: لا يا أم أمير المؤمنين، قالت: كنتُ نائمةً في فراشي، فرأيتُ رسولَ الله ﷺ وهو يقول لي: جزاكِ الله خيراً، وجزى أحمدَ بن الخصيب خيراً، وجزى من في منزله خيراً، فقد فرَّجتم الليلة عن ثلاثة من ولدي، ما كان لهم شيء، ثم قالت: خذ هذا الحلي مع هذه الثياب والمال، فادفعه إلى العلوي، وقل له: نحن نصرفُ إليك كلَّما جاء من هذه الناحية، وخذ هذا الحلي والثياب والمال، فادفعه إلى زوجتك، وقل لها: جزاك الله خيراً، فهذه دلالتك، وخذ هذه الثياب والمال لك، فأخذتُ الجميعَ وركبتُ إلى منزلي والنجوم بحالها، وجعلتُ طريقي على باب العلويّ، فقلت: أبدأ به، إذ كان الله رزقنا هذا الرزقَ بسببه، فطرقت البابَ، فخرج العلويُّ وقال: هات ما معك، فقلت: وما يدريك ما معي؟ فقال: انصرفتُ من عندك بما أخذتُه منك، ولم يكن عندنا شيء، فدفعتُ المال إلى بنت عمي، ففرحت وقالت: قم إلى الصلاة، وادعُ حتى أؤمِّن على دعائك، فقمتُ وصلَّيتُ ودعوتُ وهي تؤمِّن، ودعونا لك وللسيدة ولزوجتك، ثمَّ نمتُ، فرأيت جدِّي رسول الله ﷺ وهو يقول: قد شكرتُهم عنك، فإذا جاؤوك بشيءٍ

(١) في (خ) و(ف) : تتردد. والمثبت من المنتظم.

(٢) تهور الليل: ذهب، أو ولَّى أكثره. القاموس (هور) .

آخر فاقبلهُ، فدفعتُ إليه ما كان معي وانصرفتُ إلى منزلي، وإذا بربَّة البيت قلقةً، فحدَّثتُها الحديث، فقالت: ألم أقل لك: اتكل على جدِّهم؟ فدفعتُ لها ما كان لها، فدَعت وفرحت[١].

توفيت شجاع بالجعفرية لستٍّ خلون من ربيع الأول[٢]، والمتوكِّل غائبٌ، فصلَّى عليها ابنه محمد المنتصر، ودُفِنت عند الجامع، وخلَّفت من الذهب خمسة آلاف ألف دينار وخمسين ألف دينار، ومن الدراهم كذلك، ومن الجواهر ما قيمتُه ألف ألف دينار، وكذا من العقارات والمتاع والأثاث وغيره.

وقال جعفر بن عبد الواحد الهاشمي: دخلتُ على المتوكِّل لمَّا توفيت أمُّه فعزَّيتُه، فقال: يا جعفر، ربَّما قلتُ البيتَ الواحد، فإذا جاوزتُه خلَّطتُ، وقد قلت: [من الطويل]

تذكَّرتُ لمَّا فرَّقَ الدهرُ بيننا ... فعزَّيت نفسي بالنبيِّ محمَّدِ

فأجازه بعض من حضر، وقال:

فقلتُ لها إنَّ المنايا سبيلُنا ... فمن لم يمت في يومه ماتَ في غدِ[٣]

شُعَيب بن سَهْل بن كَثير

أبو صالح الرازيّ، ويعرف بشعبويه.

ولَّاه المعتصم قضاء بغداد على عسكر المهدي، ثمَّ عُزِل.

وكان يقول بخلق القرآن، وكان الإمام أحمد رحمه الله يقول: أخزاهُ الله، كان يرى رأيَ جهم بن صفوان[٤].

وكان قد كتبَ على باب مسجدِه وفي المحراب: القرآنُ مخلوق، فجاءتِ العامَّةُ إلى

---

(١) المنتظم ١١/ ٣٤٧-٣٤٩.

(٢) في المنتظم ١١/ ٣٥٠: ربيع الآخر. وذكر الطبري في تاريخه ٩/ ٢٣٤، والمسعودي في مروج الذهب ٧/ ٢٦٦-٢٦٧ أيضاً أنها توفيت في ربيع الآخر، لكن من سنة سبع وأربعين ومئتين.

(٣) المنتظم ١١/ ٣٥٠.

(٤) الجرح والتعديل ٤/ ٣٤٦.

داره فنهبوها وأحرقوها، فهربَ منهم، وهو أوَّل قاضٍ أُحرقت دارُه، ونهبت، وكان خبيثاً[١].

محمد بن سليمان

ابن حبيب بن جُبير، أبو جعفر الأسديُّ الكوفيّ، ويعرف بلُوَين.

خرج من الكوفة طالباً الثغر، فسكن المصيصةَ مرابطاً بها، فماتَ، فدُفِن بها في هذه السنة وقيل: سنة خمسٍ وأربعين، وقيل: مات بأذنة[٢].

سمع مالكاً وغيره، وروى عنه عبد الله بن الإمام أحمد رحمة الله عليهما، وكان ثقةً، وعاش مئة وثلاث عشرة سنة، رحمه الله[٣].

(١) انظر ترجمته في تاريخ بغداد ١٠/ ٣٣٥-٣٣٦ ، والمنتظم ١١/ ٣٤٦ ، وتاريخ دمشق ٨/ ٨٣-٨٤ (مخطوط) . ولم ترد ترجمته في (ب) .

(٢) الذي في المصادر أنه مات بأَذَنَة ونقل إلى المصيصة فدفن بها. انظر تاريخ بغداد ٣/ ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، وتهذيب الكمال ٢٥/ ٢٩٧ ، ٣٠١ ، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٥٠١-٥٠٢ .

(٣) هذه الترجمة لم ترد في (ب) .

obeikandl.com